Phone-22948 Regd. No. L. 1692
ALBAAS-EL-ISLAMI
Nadwatul Ulama, Lucknow.(India)

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الطبعة الثامنة مزيدة منقحة

بقلم الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي

من أروع الكتب الاسلامية التي ظهرت في العصر الحديث و ازدانت به المكتبة الاسلامية على سعتها ، الكتاب دراسة جديدة و عرض جديد لتاريخ الانسانية وتأثير الاسلام فيها ، وخسارة العالم بعد انسحاب المسلمين عن ميدان القيادة ، و نقد تحليلي للحضارة الأوربية التي جنت على الانسانية جناية كبرى و اقترفت آثاماً لا ينساها التاريخ.

و هو نموذج طيب لدراسة المسلم البحاث لتاريخ العالم وطريقته في استنباط النتائج ، و نظرته إلى الكون و الحياة و الانسان .

و قد أدى الاقبال المتزائد على هذا الكتاب إلى إصداره في طبعات كثيرة

الناشر : دار القلم — الكويت —

يطلب من :

مكتبة دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

و المكتبات العربية في العالم العربي

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

شعارنا الوحيد

إلى

الاسلام

من

جديد

العدد الرابع

المجلد الخامس عشر

رمضان ١٣٩٠هـ

نوفمبر ١٩٧٠م

البعث الإسلامي

تصدر :

في ندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

مؤامرة جديدة

المعركة الكبرى التى تدور اليوم فى العالم الاسلامى معركة «اسلام» و «لا اسلام» و نحن نرى أن البلاد الاسلامية التى لم تذق عذاب الثورة والاشتراكية — ولا قدر الله — أو لم تجرب حظها فى هذا «اليانصيب العام» بتعبير أصح ستكون مسرحاً قادماً لهذه المعركة الكبرى بطبيعة الحال ، فقد كثرت حولها الأغراض والمصالح ، و حامت حولها الذئاب و الكلاب ، وبدت الأصابع التى تدبر فى الظلام رغم غاية الحيطة و الحذر و الكتمان .

فهرى من واجبنا كأعضاء أسرة واحدة أن نشير إلى نقطة الخطر و ننبه القادة و المسؤلين إلى تلك الأيدى الخفية الماكرة التى تحاول إفساد الشباب حتى لا يستطيع المقاومة و الصمود عند ساعة الصفر ، و يخلى الميدان للعابثين الحمر .

فليكن ردنا على هذه المؤامرة عن طريق الاعداد التربوى و الخلقى و العسكرى لجيلنا الصاعد ، و تعضيد العناصر الاسلامية المخلصة ، والتخلص من عناصر دخيلة مشبوهة و اتباع لينين و ماو و القضاء عليهم قبل أن يسوقوا هذه البلاد الآمنة إلى أسرتهم الاشتراكية المتلاحمة و جحيمها المسعرة التى وصفها القرآن :

« كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً ، قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال لكل ضعف ، و لكن لا تعلمون » ،

إنها شهادة نوديها فى سبيل الحق ، فسجل يا زمان إذا لم تجد لها الآذان ، واحفظها يا تاريخ إذا لم تحفظها القلوب ! !

البعث الاسلامى

العدد الرابع

المجلد الخامس عشر

البعث الاسلامى

رمضان

١٣٩٠هـ

نوفمبر

١٩٧٠م

البعث الاسلامى

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لا يتغير وبين العلم النامى الذى لا يتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، و بين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته وعبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه و دراسته وتقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر وحارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، وبينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود .

دورنا فى المعركة

إن قراء « البعث الاسلامى » ليسوا مشتركين رسميين أو زبائن يشترونها كما يشترون بضاعتهم كالمواد الغذائية والتموين ، إنهم قبل كل شئ دعاة و مرابطون ، فليكن دورنا و دورهم فى هذه المعركة الضارية ، الحاسمة الفاصلة دور من يتفطن للخطر الحقيق و يخرج للعمل الصامت الدؤب و يؤدى واجبه المنتظر الكبير حسب ما تقتضى به الظروف ، و لا يصر على أسلوب خاص و تكتيك خاص ، بل يغير فيه كلما دعت إليه الحاجة ، و اقتضت به المصلحة فى حدود معالم الشريعة ، و فقه الدعوة ، و ضوء الكتاب و السنة .

رئيس التحرير : محمد الحسنى

مدير التحرير : سعد الأعظمى

الفهرس

مسابقة فى وضع الالقاب واختراع الاوصاف — محمد الحسنى — ٣

التوجيه الاسلامي

نبوءة تتحدى و معجزة تتحقق — الاستاذ ابو الحسن على الحسنى الندوى — ١٠
دور الايمان فى تأسيس الحضارة — الاستاذ أبو الأعلى المودودى — ٢٣
الاسلام فى العالم المعاصر — الدكتور حسين نصر — ٣٠

الدعوة الاسلامية

التقوى « غاية الصيام الكبرى — الاستاذ الشهيد سيد قطب — ٣٦
مقر الانسان فى الآخرة — فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى — ٤١
صور من التطبيقات العملية — الاستاذ عبد الرحيم عبدالله صالح — ٤٦

دراسات وابحاث

من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه — الاستاذ محمد ممدوح سليم — ٥٦
قانون الأحوال الشخصية — الأخ شمس تبريز خان — ٦٦

في رياض الشعر والأدب

صور ضاحكة ! — الاستاذ أبوبكر الحسنى — ٧٥
ابن الحريرى كما يراه الأدباء — الاستاذ سراج الآفاق الصديقى — ٧٨

ربانيون

الامام أبو الحسن على الدارقطنى — سعيد الاعظمى الندوى — ٨٢

العالم الاسلامي

عفواً ، فانى أريد أن أكون صريحا — الاستاذ محمد الرابع الندوى — ٨٨
الحركة الاسلامية فى الصحافة اليهودية — الاستاذ محمد مصطفى رمضان — ٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مسابقة فى وضع الالقاب واختراع الاوصاف

لم نكن نتصور أن المسابقة بين الكتاب الثوريين فى وضع الألقاب، و اختراع النعوت و الأوصاف تبلغ إلى هذا المدى أو هذا المستوى، وأن الاغراق فى الثناء؛ والتنافس فى المدح و الاطراء لرجل أهان البلد، و شعبه، و أساء إلى سمعته و سمعة وطنه تصل إلى درجة تمس كرامة الأنبياء، و مكانة النبوة و حرمة سيد الأولين و الآخرين.

لقد مات والقدس الحزينة الواجمة تحت رحمة اليهود، و سيناء وشرم الشيخ، و الضفة الغربية و الجولان تحت حكمهم، والمدن المصرية المدمرة المهدمة تشهد بقصفهم و نيرانهم.

مات بعد أن ضيق على الشباب المغترب حياته فى أوربا وأمريكا، حتى عز عليه أن يواجه الجمهور الساخر الشامت فى أيام النكبة و بعدها، و شق على المسلمين أن يقنعوا عامة المواطنين بما حدث فى حزيران على يد « خالق الكرامة » « وصانع الحياة » و « نبى هذا الزمان » و « حبيب الله » و على يد « أشرف رجل فى التاريخ (١) ».

---

(١) كلها ألقاب جديدة للرئيس الراحل (ونعوذ بالله) وردت فى «الجمهورية» بتاريخ ٢٩ سبتمبر و ٥ أكتوبر وأول أكتوبر ١٩٧٠

مات بعد هزيمته فأصبح كذا وكذا ، و صار يحلف باسمه ، ويعكف لصورته ، فما ظنك به إذا كان منتصراً حقاً ؟ ترى ما تكون ألقابه إذا استرد سيناء مثلا ؟ فالحمد لله الذى أنقذ مصر الحبيبة من الشرك السافر الجلى و من عبادة الصور و التماثيل ، و الضرائح و القبور ، و لم يحدث مثل ما حدث لقوم موسى حين عبدوا العجل « و قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » .

و إليكم بعض النماذج من هذا الوباء الجديد الذى استشرى فى العواصم الثورية و الاشتراكية و هو « تخنيط » أبطالهم الثوريين بضخامة الألقاب ، وتهويل الكلمات ، و إحاطتهم بصفات و قداسات لا تليق لغير الله و رسوله .

« عدلنا يا عبد الناصر ، الثامن و التاسع من يونيو يتكرر ، الناس يملأون الشوارع ، و اسم عبد الناصر يرتفع إلى كبد السماء ، اسمه وجسمه ، فى ليلة الاسراء ، يا عبد الناصر ، يا نبى الوطنية يا رسول الحرية ، فى ليلة الاسراء تصعد إلى السماء ، تلتقى بالقديسين الأبرار ، تنضم إلى ركب صانعى الحياة على الأرض و الحياة فى السماء » .

« يا أشرف من عرفته الدنيا ، مكافحاً ، مقاتلا ، جريئاً ، حراً ، كريماً مدافعاً عن الحق ، صامداً فى وجه الأحداث ، صانعاً لها أيان شئت و كيف شئت » .

« مثل جمال عبد الناصر لا ينبغى أن يبكيه شعب بل أن يصنعوا من أجله النصر ، أن يستمدوا من قوته قوة ، ومن إرادته إرادة ، من مبادئه مبادئ ، و من حياته حياة ، و من رسالته التى جاء بها من ضمير

الغيب رسالة » (١)

« و لكن رجالا بعينهم يتوقف عندهم مدار الكون ، و يشد إليهم الفلك الدوار ، لا بحار الدموع و الآلام تجدى ، و لامداد الأنهار يكفى لتسويد الكلمات الغراء ، لأنهم أكبر من كل الكلمات فهم أنفسهم الكلمات(٢) »

« مات نبى هذا الزمان ؛ مات جمال عبد الناصر فى نفس اليوم من نفس عام الأحزان الذى تجلى الله فيه على نبيه محمد بن عبد الله برحلة الاسراء ، و عرج به إليه حتى سدرة المنتهى تطييباً لنفسه و تثبيتاً لقلبه ، و إشراقاً لروحه و أنساً لفؤاده .

نفس ما أراده الله لحبيبه جمال ، نفس رحلة جمال إلى الله ، لا لم يمت جمال عبد الناصر لقد رحل إلى ربه كما رحل كل الأنبياء والقديسين و الهداة و المصلحين (٣) .

« اوزوريس ، لقد تغنى بك آباؤنا وأجدادنا ، وجعلوا منك أسطورة يحلمون بها ، أربعة آلاف عام على أمل أن تظهر ، و قد قدر لنا نحن أبناء مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين أن نرى حلمهم يتحقق (٣) »

« لقد ذهبت مع الغروب فى ليلة الاسراء ، لتعود نبياً بالوحى كل صباح » (٤) .

ترى هل يبقى عندهم حاجة إلى نبى أو رسول أو حتى إلى الله جل

(١) الجمهورية بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠

(٢) الجمهورية ٥ أكتوبر ١٩٧٠

(٣) الجمهورية أول أكتوبر ١٩٧٠ العدد الأسبوعى ص٦

(٤) الجمهورية ٣ أكتوبر (محمد صدقى)

و علا بعد ما تكفل عبد الناصر كل حاجاتهم ، بل حياتهم فى الأرض و حياتهم فى السماء (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) .

فما كان ردهم على ما وهبهم من قدرة و حياة ، و قوة و كرامة وثبات و صمود ، إلا الفداء فى سبيله و من أجله - طبعاً - وذلك ما يقتضيه الشرف الذى تعلموا منه .

« من أجله سوف نبذل الدم ، و من أجلنا ، من أجله سوف نسفح عرقنا أنهاراً تجرى . . (إلى آخر هذه الخرافات) .

لقد وصف القرآن المشركين فقال « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث و الأنعام نصيباً ، فقالو هذا لله بزعمهم ، و هذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، و ما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون » (١)

أما هؤلاء فلم يتركوا شيئاً لله ، حتى القدرة ، و الارادة والحياة ، و لم يتركوا لرسوله شيئاً ، حتى النبوءة و الرسالة و نور الغيب .

إنهم يؤمنون بالله — نظراً إلى أوضاع البلد المسلم الذى يحكمونه — ولكنهم لا يحتاجون إليه فى شئ ما دام « صانع الحياة » و « خالق الكرامة » أغناهم عن كل شئ .

إنهم يؤمنون برسالة محمد ﷺ ، و لكنهم لا يحتاجون إليها لأن رسالة نبيهم الجديد قادرة على انتزاع النصر رغم إرادة القدر .

إنهم يؤمنون بأن لا إله إلا الله ، و لكنهم لا يحتاجون إليه فعلا لأن « ناصر حبيب الله » أغناهم عن سائر الرسالات برسالته الخالدة

(١) الأنعام ١٦

الأخيرة التى جاء بها من ضمير الغيب .

هذا هو الاسلام الذى يسمى فى مصر « بالقيم الروحية » ، لأن الاسلام الحقيقى فى مصر معناه الاخوان ، و لأن الاخوان فى مصر لا يعرفون إلا بالاسلام .

هذا هو الاسلام الذى تدق له الطبول فى البلاد الاسلامية و يبعث له القراء إلى آسيا و أفريقيا ، و يذاع على العالم ليلا و نهاراً ،

قرآن للتنابر ، و الضرائح ، والجنائز ، و للعلماء والمشايخ ، و قرآن (١) للتنفيذ و التطبيق و الحكم .

القرآن الأول (قرآن شيخ الأزهر و الحصرى و عبد الباسط) يتطاول عليه الفجار و الفساق ، و دعاة الفاحشة و البغاء ، ورواة التاريخ الجنسى و مغامرات الهميز ، فلا ينكره أحد من أبطال الثورة أو عباد الثورة ، بل يشجعه من وراء الستار .

أما القرآن الثانى (الميثاق) فحرام أن يقول فيه قائل ، و ينقده ناقد و إذا فعل ذلك فقد عرض نفسه للعروسة (٢) والكلاب المسعورة .

لقد تعرضوا لسيدنا و نبينا محمد ﷺ بشتى أنواع الاهانات ، فسبقوا فيها الكافرين ، و بذوا المستشرقين الحاقدين ، وكان آخرها ما نشرت جريدة العمال بالقاهرة ، فضلا عما تنشر « صباح الخير » تباعاً من نكت قذرة عن الجنة و النار . فلا تحرك ذلك ساكناً فى دولة الارهاب وحكم المؤامرات و المخابرات .

(١) «الميثاق الوطنى» « الذى يعتبرونه » قرآن الثورة »

(٢) آلة مشهورة خاصة بالتعذيب أنتجتها مصانع الثورة .

أما نبيهم الجديد فهل رأيتم عليه . . . نقداً فى أى صحيفة مصرية طوال هذه المدة كلها ، و هل كان جزاء من تأوه تحت وطأته أو أبدى تألمه إلا أن يسجن أو عذاب أليم ؟

لقد حدث كل هذا فى مصر ، وأكثر من هذا ، فقلنا : إنه إرهاب و بطش ، و إنه تضليل و تخدير ، و نحن فى هذا القول على جانب من الحق ، فالأمة التى تعيش على ضفاف النيل ، لا ترى إلا صورة واحدة أو جانباً واحداً من الصورة ، و هى لا تسمع و لا ترى إلا ما يوافق عليه الاعلام بعد تصميم سابق ، و تخطيط دقيق ، و حذر تام ، إنها تنام على تقديس الرئيس وتسبيحه ، وتصبح عليه ، ترى صورته فى كل واجهة ، و سيرى تمثاله فى كل شارع وميدان ، و ترى أو توهم إليها أن كل حركة و سكنة تصدر عن الرئيس و ترجع إليه ، فهو الأب ، والمرجع ، والملاذ و المأوى ، و هو العقل و القلب ، و الحياة و النور ، و هو ملء السمع و البصر و ملء الأرض و السماء (١) فما بال أقوام فى البلاد العربية الأخرى يرددون نفس النغمة الكريهة العفنة ، و الكلمات النتنة القذرة ، و يشترون عاراً لم يرض به الآخرون إلا إشفاقاً على أنفسهم و أولادهم من عصا المخابرات ، أو انسياقاً مع التيار لشدة التضليل وتخدير الأعصاب .

لقد قال رئيسهم مرة (إنه لن يحارب أى عدو (بما فى ذلك إسرائيل) حتى يقضى على ملوك وحكام البلاد العربية الرجعيين ، وحديثه عن نتف الذقون مشهور معلوم ، فلم ينجح (رغم أنف الثوريين) حتى

★ البقية على ص ٩٩ ★

(١) إقرأ الجمهورية ، الأعداد المذكورة

التوجيه الإسلامي

الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

نبوءة تتحدى ؛ و معجزة تتحقق

نبوءات القرآن إحدى معجزاته الكثيرة التى يتضمنها بين دفتيه ، و المعجزة هى تلك الخوارق التى يظهر بمجرد قدرة الله لتصديق نبى ، و يعجز دونها العقل البشرى عن تقديم أى تعليل أو توجيه لها ، إن كيفيه ظهور هذه النبوءات و الظروف التى ظهرت فيها إنما هى معجزة بذاتها ، و تحمل هذه النبوءات فى جنبها جانبين من الاعجاز ؛ أولا : الاخبار بالوقائع المهمة التى تبدو شبه مستحيل فى مثل هذه الظروف غير الملائمة (فى الظاهر) ثانياً : ظهورها طبق ما أخبر به القرآن مأة فى المأة .

و لكن نبوءة غلبة الروم من بين هذه النبوءات كلها أبعث للغرابة والدهشة فى النفس و أكثر صراحة و وضوحاً يتحدث عنها القرآن بقوله تعالى : « ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل و من بعد ، و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

إن أسلوب هذه النبوءة و سياقها يدلان على أنها لم تظهر إلا

كمعجزة للقرآن و الرسول ﷺ و كدليل على صدقهما ، و أن ذلك ليس كسائر الحوادث العادية ، لأن غلبة الروم هذه لم تقع إلا بعد انهزامهم الشديد ، ولذلك فان أول الآيات تتضمن ذكر غلبهم مرتين ، أما الجانب الثانى لغرابة هذا الحادث فهو أنه سيقع فى ظرف تسعة أعوام ، و هى مدة قليلة لا تكفى لانتعاش أمة مغلوبة و مملكة مندحرة ، و تحول الفاتح مفتوحاً ، و الجزء الثانى للآيات يؤكد أن هذا الحادث سيظهر كخارق للعادة خلافاً للعلامات الظاهرة و القرائن الموجودة ، و على عكس القياس الانسانى والتوقع البشرى ، و لذلك قيل « لله الأمر من قبل و من بعد » و فيها اشارة صريحة إلى أن الله قادر على كل شئ فى كل حين ، فهو يستطيع أن يجعل الغالب مغلوباً و المغلوب غالباً من غير تأخير ، ولا تقيد بالوقت و الظروف « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء ، و تعز من تشاء و تذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شئ قدير ، تولج الليل فى النهار و تولج النهار فى الليل ، و تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب » .

و فى الآية التى تليها إشارة إلى أن هذا الحادث سيكون من ثمار النصرة الالهية ، و أن المسلمين بحكم قربهم من الروم بازاء الفرس و من أجل طعن الكفار إياهم سيفرحون أكثر مما حزنوا بانهزام الروم ، « و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » و يمكن أن يكون ذلك إشارة إلى انتصار المسلمين العظيم الذى وقع لهم فى بدمعركة ر فى نفس ذلك اليوم الذى غلب فيه الروم على الفرس ، و قد يخطر بالبال : لماذا ينصر الله الروم النصارى ؟ فقال رداً عليه « ينصر من يشاء » و أردف ذلك

بذكر صفاته التى لها صلة ماسة بظهور هذا الحادث المدهش وتعتبر كدليل لامكانه و وقوعه ، فقال « و هو العزيز الرحيم »

ولا شك أن هاتين الصفتين تجلتا فى هذا الحادث ، فقد تجلت صفة عزة الله و غلبته للفرس الذين كانوا فى سكرة الانتصار يعمهون ، و صفة الرحمة الالهية للروم الذين كانوا مقهورين مغلوبين أنهكت الحرب قواهم ، وكانت مملكتهم تلفظ نفسها الأخير وكان خمسون ألفاً من رجالهم يعانون من ذلة الأسر و العبودية ، كما أن هذا الحادث إنما كان سبب الفرح لأولئك المسلمين الذين حزنوا طبيعياً بانهزام الروم أمام الفرس ، و كان ينبئهم بغلبهم فى بضع سنين مؤكداً لهم ذلك من غير أن يتخلف عنهم بأى حال .

و ختم الحديث بذكر أن هذا الحادث سيكون خارقاً للعادة والتجربة و معلومات الانسان الظاهرة ، و يعجز أكثر الناس عن تصديقه قبل وقوعه ، و لا يسعهم قياس ذلك بعلمهم الظاهر ، « و لكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »

و يجب أن ندرس الآن تلك الظروف القاسية القاتمة التى جعلت هزيمة الروم أمراً مستحيلا بعيداً عن القياس حتى إن القرآن تعرض لها بمثل هذه الأهمية و أولاها شيئاً كبيراً من الاهتمام و العناية ، و قدمها كآية للقدرة الالهية وكدليل على صدق القرآن ، فان التاريخ يزخر بذكر الأمم التى مرت بالانتصار تارة و بالاندحار أخرى ، و الدول التى تغلبت حيناً و انهزمت حيناً آخر ، فليس مثل هذا الحادث شيئاً غريباً للتاريخ الانسانى ، و لكن ما الذى جعل القرآن يولى هذه الأهمية البالغة

لحادث غلبة الروم .

إذن ينبغى لنا أن نستعرض ذلك الوسط الذى احتل فيه هذا الحادث محل المعجزة ! هل كان الروم فى الواقع مغلوبين ، منهوكى القوى إلى هذا الحد ، و كان الفرس قد انتصروا انتصاراً عظيماً و أسسوا فى الحدود الرومية وولاياتها دولة قوية بحيث يعتبر انعكاس الأمر فى ظرف تسعة أعوام وتحول المغلوب إلى غالب ، حادثاً خارقاً للعادة ، و هل كانت يد الله الخفية تعمل فى إحداث هذا الأمر ، ألا يمكن تأويل ذلك بوجه عقلى ؟ إننا نرد على هذا السؤال من تصريحات مؤرخى الغرب ، و نعتمد فى معظمه على كتاب « تاريخ انحطاط الروم » للمؤرخ و الأديب الانجليزى الشهير « جبن » .

أسباب هجوم الفرس :

إن كسرى ابرويز (حفيد نوشيروان و ابن الهرمز) التجأ إلى الروم فاراً من بهرام الذى كان قد استولى على العرش الساسانى ، وتغلب على هرمز ، وكان ذلك فى أيام الملك موريقس (Maurice) فتلقى الأمير الفارسى بحفاوة و اكرام بالغين ، و أحسن وفادته ، و تبناه ، ثم أرسل جيشاً بقيادة الجنرال الرومى « مارس » الذى استطاع أن يعيد الملك خسرو إلى عرش آبائه بتعاون من الفرس أنفسهم سنة ٥٩٠ م ، و ظل خسرو مديناً لما صنع به مارس و اعتبره كأب شفيق .

وقد دامت العلاقات الودية بين الدولتين الفارسية والرومية ما كان « مارس » على قيد الحياة ، و تمتعت الدولة الرومية بالمنافع السياسية و المادية ، و لكن حدثت ثورة ضد الملك بقيادة رئيس عسكرى يقال له

فاكس (Phocas) فى سنة ٦٠٢ م ، فقتل فاكس الملك والأسرة الحاكمة كلها بقساوة و تربع على عرش قسطنطينة ، و أخبر ملك الفارس بجلوسه على عرش المملكة كما جرت بذلك عادة الملوك البزنطية والفارسية لعلاقاتهم الودية ، و بعث إلى خسرو سفيره الجديد (Lilius) و هو نفس الرجل الذى كان قد قدم رؤس موريقس و أولاده إلى فاكس ، وكان موريقس ممن أحسن إلى خسرو .

فلما وصل السفير الرومى « ليليس » إلى البلاط و اطلع خسروا على على تفاصيل الواقع المؤلم الذى كان قد تم على يد هذا السفير ، اشتط غضباً و حبسه ، و رفض الاعتراف بالحكم الجديد ، و أعلن أنه سينتقم لولده و صديقه ، و أشعل فيه دافع النقمة تلك العصبية القومية و الدينية التى كان يحملها الحكام الفرس ، حتى إنه شن حملة على الروم فى عام ٦٠٣ (١) .

امتداد الفتح الفارسى :

وكان فاكس قد أمر باحراق نارسيس قائد القوات الرومية حياً فى سوق القسطنطينة ، و لم يوجد فى المملكة الرومية قائد أحسن منه ، فقد كان مرهوباً ، تخيف الأمهات أولادهن باسمه ، ثم ديست القوات الرومية بأقدام الأفيال ، و قد كان خسرو هدم التحصن الرومى على الثغور ، فاحتل مدن الشام عابراً نهر الفرات ، و فتح إنطاكية العاصمة الشرقية للمملكة البزنطية بعد ما احتل « هيروبلس » و « جالسس » و « حلب » فى الشام .

(١) قبل البعثة بسبع سنوات .

إن تيار الفتح الفارسى الجارف يعتبر دليلا على انحطاط المملكة الرومية وتخاذل فاكس ، وقد تسنى بعد ذلك للفرس أن يفتحوا «قيسارية» عاصمة « كبى دوشيا » (١) (Cappadocia) ثم احتلوا القدس بعد أن فتحوا دمشق ، و الخليل ، و الأردن ، و أحرقت كنائس « هيلينا » مدفن المسيح (كما يعتقد المسيحيون) و قسطنطين ، و جعلت النذور الدينية التى كان يرجع تاريخها إلى ثلاثة قرون مضت وقفا عاماً فى يوم واحد فقط ، و نقل أصل الصليب إلى إيران ، و قتل تسعون ألف مسيحى .

و امتد الفتح الفارسى إلى مصر بعد ما استتب فى الشام ، وتوسعت حدود المملكة الفارسية إلى الحبشة وطرابلس الغرب ، و استولى الفرس على المستعمرات الرومية و الأفريقية أيضاً ، و رجع الفاتح الفارسى عن طريق صحراء ليبيا يقتفى آثار اسكندر ، و احتلت وحدة للقوات الفارسية من الفرات إلى باسفورس و جالسدن (٢) و ظلت المخيمات الفارسية منصوبة أمام القسطنطينة إلى عشر سنوات ، فلو كان خسرو يملك القوة البحرية لأخضع ولايات أوربا إلى حكمه أيضاً .

(١) منطقة آسيا الصغرى المرتفعة التى تمتد فى ٢٥٠ ميلا طولا ، و ١٥٠ ميلا عرضاً ، و تقع فيها سلسلة جبال تارس و نهر الفرات شرقاً ، غليشيا و لائى كونيا غرباً ، و باندس شمالا ، وجبال تارس جنوباً (موسوعة بريطانيا) .

(٢) كان موقعها على الطريق الرئيسى الذى يبعد من ملتقى الفرات والساجر ١٦ ميلا جنوباً ، حيث يلتقى سيريا الشمالية و ميسوپتيميا .

هرقل يتسلم زمام الحكم :

ثار هرقل حاكم أفريقية ضد فاكس فى نفس تلك اللحظة التى كانت تعانى فيها المملكة الرومية من صراع الموت و الحياة ، إنه قتل فاكس وتسلم زمام الحكم فى سنة ٦١٠ م ، حينما كانت المملكة الرومية قد أوشكت على النهاية ، فكان أول خبر سمع به الناس فور تسلمه زمام الحكم هو سقوط إنطاكية .

وكان من المتوقع أن يشفى خسرو غليل النقمة من فاكس بعد قتله ، وكان ينبغى عليه أن يعرف صنيع هرقل الذى كان قد قتل غاصب مملكته ، و قاتل محسنه الذى أحسن إليه ، و لكن الامبراطور الفارسى لم يكن مخلصاً فى نيته ، و استمر فى اعتداءاته ، و أتم ما نقص من انتصاراته .

مشكلات الروم :

و قد غلب الروم فى عام ٦١٦ م كلياً ، و فقدوا مملكتهم الرومية على يد الفرس ، و واجهوا عدا هذه الأضرار فى الشرق ، ثورة عارمة فى أوربا كلها ، فقد كان آفارس (Avars) يعيثون ظلماً و فساداً من ثغور أستريا (Istria) إلى جدار (ثريس) أما الدم الانسانى البرئى الزكى الذى كان قد أريق فى الحرب الايطالية لم يكن جف حتى قتل الأسارى من الرجال فى ساحة بنونيا (Pannonia) المقدسة و استعبدت النساء و الأطفال ، و انحصرت رقعة المملكة الرومية فى جدار قسطنطينة و أجزاء من اليونان و ايطاليا و أفريقية ، و فى عدة بقاع لسواحل آسيا من صور إلى طرابزون .

و هاجمت على العاصمة المجاعة و أمراض وبائية منذ سقوط مصر ،

فقد كانت القسطنطينة تستورد الطعام من مصر ، فلما استولت الفرس على مصر توقف استيراد الطعام إليها ، وقد كانت القسطنطينة يوزع فيها الطعام توزيعاً عاماً منذ أيام قسطنطين لكى يرغب الناس فى الاقامة فيها ، ولكن هذا التوزيع توقف فى سنة ٦١٨ م لأول مرة حينما واجهتهم المجاعة و احتجب استيراد الغلات من الخارج .

اتجاه هرقل العملى :

أجمع المؤرخون على أن هرقل لم يكن يستند إلى حماس عملى وحيوية بالرغم مما مر عليه من الحوادث ، بل إنه بالعكس من ذلك كان يشاهد نهاية المملكة الرومية بأم عينيه و لا يتألم لذلك شيئاً ، يقول جبن : « كان هرقل فى أيام حكمه الأولى و الأخيرة كسولا متخاذلا راكناً إلى الدعة و الترف ، متوهماً ، متفرجاً على مصائب شعبه كمن لا حمية له و لا رجولة » .

نبوءة القرآن :

لقد نبأ القرآن فى سنة ٦١٦ عند ما كانت المملكة الرومية تلفظ نفسها الأخير أن الروم سيغلبون فى بضع سنين ، يقول جبن :

« إن محمداً ﷺ تنبأ بغلبة الرايات الرومية بانتصار جديد فى بضع سنين ، بينما كان الفتح الفارسى فى أوجه ، و حينما ظهرت هذه النبوة لم يكن هناك شئ أكثر استغراباً و استحالة منها ، و ذلك لأن هرقل فى سنواته الاثنى عشرة الأولى كان يعلن نهاية الحكم الرومى و توليه من غير عودة »

فى السنة الخامسة من بعثة النبى ﷺ كان المشركون فى مكة يتظاهرون

بشدة فرحهم على انتصار الفرس الرائع واندحار الروم ، وكانوا يتفاءلون بانتصارهم و يعتبرون ذلك انتصار أصدقائهم ،

« كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل الأوثان ، و كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، فذكروه لأبى بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال : أما إنهم سيغلبون ، فذكره أبو بكر لهم ، فقالوا اجعل بيننا و بينك أجلا ، فان ظهرنا كان لنا كذا و كذا ، و إن ظهرتم كان لكم كذا و كذا ، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا ، فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال ألا جعلته إلى دون ، قال أراه العشرة ، قال قال سعيد و البضع ما دون العشر ، قال ثم ظهرت الروم بعد » (١) .

ظهور النبوءة :

و أراد هرقل بعد ما واجه من الصعوبات و المشاق التى أسلفنا ذكرها أن ينتقل من قسطنطينة إلى كارتيج حيث الأمن و السلامة ، و يتخذها مركزاً له ، وكانت سفنه المشحونة بالجواهر و الأموال تنتظر الرحيل إذ اضطره البطريق إلى المقاومة و الخوض فى الحرب و شجعه ، فجاء إلى « سانت صوفيا » و أقسم أن موته و حياته مع الذين أكرمه الله برعايتهم .

و يمكن لنا تقدير تخاذل الامبراطور الرومى أنه بعث عن طريق قائد فارسى وبعض الضباط الروم رسالة إلى ملك فارس يطلب فيها العفو و الأمن فرد عليهم الملك الفارسى قائلا : إن هذا الأمر ليس ما يسعى

(١) جامع الترمذى ـ كتاب التفسير .

بالسفارة و إنما هو الامبراطور الرومى الذى يخضع أمامى ، و إننى سوف لا أقر له بالأمن ما لم يكفر بالهه المصلوب ويقبل على عبادة الشمس .

و لكنه رفع يديه عن فتح قسطنطينة بعد ما حرب الروم إلى ست سنوات ، وكتب لهم الأمن على شرط أن يقدموا له كل عام ألف «تولنت»(١) من الذهب وألف «تولنت» من الفضة، وألف حلة من الحرير ، وألف فرس، و ألف بنت عذراء ، كخراج سنوى ، فاستفز الروم هذا الشرط و استند إليه هرقل فى اشعال غيرتهم و حميتهم ، و هنالك أعلن هرقل حرباً دينية ، و استقرض لتغطية نفقات الحرب من أوقاف الكنائس و موادها ، بشرط أن يرد ذلك بعد الحرب بالربح الربوى .

تغير هرقل :

تغير هرقل بعد هذا الاعلان ، الذى نفخ فيه روحاً جديدة ، و بعث عزمه من جديد ، و منحه حياة جديدة ، فلم يعد ملكا كسولا متقلباً فى النعيم و اللذات ، بل إنه عاد ملكا شجاعاً ، ذا همة عالية ، وقائداً متحمساً ، و فاتحاً طموحاً ، كان جد قلق لاستعادة ملكه و نفخ الروح فى جسد أمته و بعثها من جديد ، يقول « جبن » .

« صار كالضباب الذى ينذاب بأشعة الشمس ، وإذا بـ « أكورديوس» القصور يتحول إلى «سيزر» ساحة القتال ، و هكذا وفقوا إلى الاحتفاظ بكرامتهم و عزتهم بأحسن طريق » .

زحف هرقل و انتصاراته :

حلت قوات هرقل فى خليج إسكندرونة ، و قد خلفت الساحل

(٢) عملة رومية قديمة .

الغربى الجنوبى لآسيا الصغرى إلى اليسار ، و أمر هرقل بترميم الحصون التى تقع فى البلدان المجاورة للبحر و أضاف إلى التدريب العسكرى أعضاء جدداً ، و حث الروم على الانتقام من عبدة النار و نفخ فيهم روح النقمة و العداء ضدهم فى خطاب حماسى ألقاه بمناسبة افتتاح تمثال اسيدنا المسيح عليه السلام ، و قد توجه هرقل إلى « كبى دوشيا » بعد ما فتح « سليشيا » ، و توغل إلى قلب الفارس عابراً البحر الأسود و جبال أرمينيا و وصل من القسطنطينة إلى « طرابزون » مشياً على الأقدام برفقة خمس مأة رجل من خيرة الجنود ، و استولى على مدينة « طوروس » و مناطق « غندزاكا » و « موغان » و هدم النصارى كنائس « ماغى » و أحرقوا تماثيل خسرو ، و أهانوا مولد « زراشتر» بازاء « مدفن المسيح » وأطلقوا سراح خمسين ألفاً من أسرى النصارى .

توغل هرقل إلى الفارس و وصل إلى مدن « قزوين » و «أصفهان» و واجهت المملكة الفارسية خطراً عظيماً . فاستدعى الفرس القوات الفارسية من وادى النيل وباسفورس ، ولكن هرقل هزمها هزيمة نكراء ، و عبر دجلة بعد أن قطع جبال الكرد ، و دخل إلى ساياط بعد حرب دامية ، و نشبت المعركة الحاسمة فى ساحة « نينوا » و أتى بعدها إلى « رستجرد » و مضى من المدائن عدة أميال ثم دخل القسطنطينة دخول الفاتح العظيم .

النبوءة تتحقق :

تزلزلت قوائم عرش المملكة الفارسية ، وتجاوز الروم عن حدودهم التاريخية القديمة و داسوا الفرس ، و رفعوا الراية الرومية فى قلب المملكة

الفارسية خفاقة ، و هكذا تحققت نبوءة القرآن حول غلبة الروم فى السنة الثانية للهجرة أى سنة ٦٢٥ م أيام غزوة بدر فى ظرف تسعة أعوام ، على أنه لم يكن هناك من الآثار و القرائن فى ظاهر الأمر ما يشير إلى هذه الغلبة ،

هرقل يتكاسل من جديد :

أجمع مؤرخو أوربا و كتابها على أن أروع عهود هرقل هو ما هزم فيه الفرس و استعاد مجد المملكة الرومية ، أما زمن هرقل الأول والأخير فلا يضارعان أيامه التى توسطت بينهما فى شئ ، و يبدو أن الحكمة الالهية اختارته لهذا العمل الجليل وحده ، حتى إذا أنجزه عاد إلى مثل ما كان عله فى السابق من التكاسل و التنعم . و كما يقول « جبن » إنه لم يبال بتسليمه تلك الولايات التى استعادها بتضحيات بالغة وحروب دامية من أيدى الروم إلى أيدى العرب .

يحتار المؤرخون فى تأويل ما طرأ على هرقل من أحوال وتغيرات فى بدء الأمر و نهايته ، و الانتفاضة التى حدثت فيه بين العهدين ، إنهم حاولوا تأويل هذه الظاهرة العجيبة والتعارض بين أحواله التى مرت عليه بأساليب متنوعة ، يقول « جبن » :

« كان من واجب المؤرخين البزنطيين أن يشرحوا أسباب الغفلة و اليقظة فى هرقل ، و لا يمكن لنا بعد هذه المدة الطويلة إلا أن نقول على سبيل التقدير ، أن الجرامة الشخصية وجدت فيه أكثر من العزيمة السياسية ، و أن ابنة اخيه « مارتينا » كانت تستولى عليه بجمالها الساحر ، التى تزوج منها زواجاً غير مشروع ، و أنه قبل ما أشار عليه المستشارون من

أنه لا ينبغى لملك أن يقضى أيامه الغر فى ساحة القتال ، و لعله استشاط غضباً على مطالبات الفاتح الفارسى السخيفة » ،

و يتحدث كاتب المقال فى دائرة معارف بريطانيا :

« سيرة هرقل لغز عجيب لا ينحل بسهولة ، و بالرغم من أنه كان شجاعاً فى نفسه ، و محنكا فى سياسته ، و قائداً ناجحاً و لكنه ظل صامتاً على الأحداث التى واجهته ، و احتمل تمزق مملكته بصبر و أناة ، لم تكن حياته و مؤهلاته مختلفة بعضها عن بعض فحسب بل كانت تتعارض بعضها مع بعض ، أما معلوماتنا عن حياته الشخصية فهى ناقصة إلى حد كبير ، و لذلك يمكن أن يكون هناك سبب لا نعلمه لهـذا التعارض ، و لو أنه لا يعتبر مبرراً لأعماله التى باشرها ، وإذا كان وافاه الأجل فور انتصاره على الفرس ، ضمن ذلك دوام سمعته الطيبة » .

اعترف مؤرخو أوربا فى جميع ما كتبوا حول هذا الموضوع بحدوث انقلاب عجيب فى هرقل أيام حربه مع الفرس ، فقد نشأت فيه روح لم تدم بعد انتهائه من الحرب ، و قد أضاع كل ما حصل عليه من الفرس بيد العرب ، و لكننا لانتأكد أن هذا الأمر الأخير له صلة ما بالحقيقة إذ نحن لا نصدق أن هرقل لم يقاوم الحملات الاسلامية ، و أن الذى جر إلى انهزام الروم هو ضعف المملكة الرومية وغفلة هرقل ، لا قوة الاسلام و أخلاق المسلمين .

الأستاذ أبو الأعلى المودودى
« معرب »

دور الايمان فى تأسيس الحضارة !

إذا وجد رجال يؤمنون بعقـائد و أفكار مختلفة ؛ و تقوم سيرهم و أخلاقهم على أسس متعارضة متنوعـة ، فلا تتألف منهم هيئة اجتماعية ، و يكون مثلهم كمثل قطع من أحجـار و صخور ، تكون كل قطعـة منها ذات قوة و متانة ، ولكنها لا تربط بعضها ببعض ، و بالعكس من ذلك إذا رسخت فكرة مشتركة فى قلوب أفراد كثيرين ، يشارك كل فرد الآخر فى الايمان بهـا فان ذلك يجعلهم أمة واحدة ، شأن قطع الأحجـار التى إذا رصفت بعضها إلى بعض وركبت كل قطعة مع الأخرى يتكون منها جدار منيع ، ويتعاون كل جزء منه مع الآخر .

هذا هو الايمان الذى يمنح هذه المجموعة من أفراد الانسان قوة التعاون والتقدم ، و يحث سيرهم نحو الرقى و الازدهار و يسم سيرهم و أخلاقهم بالانسجام و يصبغ أعمالهم بصبغة واحدة ، وهنالك تنشأ مدنية ذات شخصية مستقلة ، و تتجلى حضارة لها قيمتها و شأنها ، و تنبعث أمة جديدة بأخلاق جديدة ، وأفكار جديدة ، و منهج عملى جديد ، تبنى قصر حضارتها و أمجادها الشامخ على طراز جديد .

الايمان على نوعين :

ينبغى بالمناسبة أن ندرس أحوال الحضارات المختلفة التى وجدت فى هذا العالم من ناحية الايمان ، و لو أن كلمة « الايمان » تطلق على مصطلح دينى فى الحقيقة ، ولكننا نعنى بالايمان فى هذا الموضوع الفكرة الأساسية للانسان ، ولذلك يمكن أن نعتبر للايمان نوعين ، الأول ما يتسم بالصبغة الدينية ، و الثانى ما له صلة بالأمور الدنيوية ، أما الايمان الدينى فيمكن أن يكون أساساً للحضارة التى تبنى على أساس الدين ، و ذلك لأن الايمان الواحد فى هذه الحالة يحكم الدين و الدنيا كليهما ، أما الحضارة التى لا تتأسس على الدين فينفصل فيهـا الايمان الدنيوى عن الايمان الدينى ، من غير أن يبقى للايمان الدينى أى تأثير فى الحياة الشخصية أو القومية .

الايمان الدينى :

يوجد الايمان الدينى بوجـه عام فى أمور تبنى سيرة الانسان على أسس روحية و خلقية ، وبصرف النظر عن وجهة نظر الدين ، وبالوجهة الدنيوية فحسب يتوقف نجاح هذا النوع من الايمان على أمرين اثنين :

أولا : الأمور التى يطلب الدين تصديقها و الايمان بها يجب أن تكون صالحة للتصديق من الوجهة العقلية .

ثانياً : أن تكون تلك الأمور مما يمكن بناء سيرة الانسان على أساسها بطريق صحيح حتى تكون هذه السيرة فى روحها صالحة لوضع نظام خلقى رفيع ، و فى أخلاقها باعثاً للانسان على الاستعداد لاحراز النجاح فى حياته الدنيوية مع تميزه بطهارة الأخلاق و نقاء الديباجة .

و يستلزم الأمر الأول ، لأن الايمان إذا كان مجموعة من أوهام

فقط ، أو أوهام و بعض المعقول فان استيلاءهما على فكر الانسان إنما يكون من أجل الجهل و الغباوة ، وما أن خطا الانسان إلى مدارج عالية للرقى العقلى و بدأت تلك الأوهام تفقد قوتهـا إذ تزلزل الايمان فى قلبه و تتأثر ذلك النظام الذى أقيم على أساسه بنـاء الروحانية و الأخلاق ، و يمكن لنا أن نضرب لذلك مثالا بالمعتقدات التى جاءت بها الديانات المختلفة حول الآلهة الكاذبين و القادة الدينيين ، فان الصفات التى وصفوا بها و الأعمال التى نسبت إليهم ، و الأساطير التى وضعت فى شأنهم لا يكاد يصدقها العقل أو يعتقد بها .

و نرى فى أغلب الأحوال أن الأمم التى اعتقدت لهذه الأوهام والأساطير تحرم جميع مؤهلات التقدم و الرقى ، لأن الأوهام إذا غلبت على النفس تسلب قوة العمل و التفكير ، و تترك صاحبها يعيش من غير طموح و لا قوة فى العزم ، و لا سعة فى النظر ، و لا نقاء فى التفكير ولا حرارة فى القلب ، وذلك ما يجر الشقاء و النكبات الدائمة والعبودية إلى الأمم ، بالعكس من الأمم التى ينفتح عليها أبواب الرقى و التقدم من طريق آخر ، كلما تتقدم علماً وعقلية تكفر بآلهتها و قادتها الكاذبين ، ولكنها فى أول الأمر لا تتظاهر بالثورة عليهم للحفاظ على النظام الاجتماعى و نظراً إلى مصلحة المجتمع ، ولكن هذه الثورة يتسع نطاقها فى نفوسهم رويداً رويداً حتى يعم تأثيرها فى أوساط الناس ، و يخضعون أمامهـا بالكلية ، عدا شرذمة قليلة من الروحانيين ، فانها تتمسك بايمانها القديم و لا تحيد عنه ، أما الجماهير فانها تستند إلى إيمان آخر يحل محل الايمان القديم و ذلك ما نعبر به عن الايمان الدنيوى .

و الأمر الثانى بديهى معلوم ، فان الايمان الذى لا يؤهل صاحبه لاحراز النجاح فى الحياة الدنيا إنما ينحصر تأثيره فى الحياة الروحية والأخلاقية من غير أن يتعدى إلى الحياة المادية ، و هو بالنسبة إلى النتائج لا يخلو من حالتين ، إما أن تشل قوى الأمة التى اعتنقت به و لا تتقدم إلى مجال الرقى ، أو تتقدم إليه و لكنها سرعان ما ترجع عنه ، ويخلى الايمان الدينى مكانه ليحل فيه الايمان الحضارى ، و كلما تزداد أمة انهماكا فى كفاح الحياة المادية و جهودها تتحرر الأخلاق والروحانية من قيد الايمان الدينى .

إننى لا أريد أن أنتقص من شأن دين ، ولذلك لا أتحدث بتفصيل عن قصة الايمان فى الديانات المختلفة فان الدراسة الموضوعية للديانات تفيد أن بعض الديانات كيف حالت دون تقدم أتباعها و رقيهم فى الحياة الدنيا ؟ و كيف أن إيمان بعض منها لم يساير التقدم العقلى و العلمى ، ثم نرى أن بعض الأمم كيف تمسكت بمعتقدات دينها و آمنت بها حينما دب إليها الانحطاط ، و الوهن ، و لكنها أعرضت عن تلك المعتقدات الدينية كلما ظفرت بتقدم فى مجال من مجالات الحياة .

و لكن تنعكس قضية المسلمين من هذه الأمم ، فانهم كانوا أكثر رسوخاً فى الايمان حينما كانوا أرقى الأمم كلها فى الدنيا و ضعف إيمانهم بضعفهم فى المجال العلمى و العقلى ، و بتقاصرهم عن مسايرة الرقى المادى ، و تغلب الأمم الأخرى عليهم ، و هم اليوم فى انحطاط و ضعف بالغين على ما بهم من ضعف الايمان و قلة اليقين أيضاً ، و قد كانوا فى أوج القدم و الرقى قبل اليوم بألف سنة أو أكثر ، فكانوا أقوياء فى إيمانهم ،

أشداء فى يقينهم ، بخلاف ما عليه النصارى فى أوربا والبوذيون فى اليابان فانهم حينما كانوا راسخين فى النصرانية و البوذية و متمسكين بتعاليمها كانوا يعيشون فى التخلف و الانحطاط ، و لما تسنى لهم الرقى والتقدم فى المجال الحضارى ذهب عنهم إيمانهم بمعتقدات أديانهم .

هذا هو الفرق الواضح الكبير بين إيمان الاسلام و إيمان غيره من الديانات ، فان أدنى التأمل فى الموضوع يوضح هذا الفرق الهائل لكل من له عقل و بصيرة .

الايمان الدنيوى :

و لننظر الآن إلى ذلك الايمان الذى نعبر عنه بالايمان الدنيوى ، و هو خال من كل عنصر دينى ، إذ ليس فيه إله ، ولا قائد دينى ، ولا كتاب سماوى ، ولا تعاليم توجه الانسان إلى بناء السيرة والأخلاق على أسس خلقية صالحة . و إنما هى أمور دنيوية بحت يحل من بينها « الشعب » أو « القوم » محل الاله الذى يجله أفراد من الناس الساكنين فى مناطق خاصة و يحيطونه بهالة من التقديس والاجلال و الخنوع ، بكل إخلاص و انهماك ، فان القوميين كلهم يؤمنون بأن « القوم » إنما هو الاله الذى يملك أرواحهم وأموالهم ، و إن الرعاية به و الحدب عليه واجب مقدس ، و تقديم التضحيات فى سبيل الاحتفاظ به و خدمة مصالحه سعادة كبرى لا تعدلها أى سعادة ، كما أنهم يعتقدون أجزم الاعتقاد أن قومهم هو على الحق ، و هو الذى يرث الأرض و يستحقها ، و أن الدنيا كلها و الأمم كلها كغنيمة لها ، فيجب على كل شخص أن يرفع راية قومه فى العالم كله .

أما الاله الثانى فهو « قانون » البلاد ، الذى يضع أهلها بأيديهم ومن عند أنفسهم ، ثم يولونه كل نوع من الاجلال والتقديس ويعبدونه، و ذلك هو ما يضمن بقاء نظامهم الاجتماعى ،

و الاله الثالث هو « النفس » التى يقوم أولاء بتربيتها و قضـــاء حاجاتها و مطالبها ، و تحقيق دواعيها و أهوائها فى كل حين و آن .

و الاله الرابع هو « العلم و الحكمة » الذى يؤمنون به ، ويسيرون فى توجيهه و يتقدمون بخطى حثيثة فى مجال التقدم و الحضارة بارشاده و هدايته .

إن هذا النوع من الايمان وإن كان نافعاً فى الحياة الدنيا والأمور المادية الخالصة ، و لكن بصرف النظر عن مكانته فى نظر الحق والصدق ليس منصب القانون أن يخلق فى قلوب الناس شعور الأخلاق ، و ينشئ مستوى للاخلاق فى معنى الكلمة ، و لا أنه يملك من القوة ما يساعد فى الاحتفاظ بالأخلاق الرفيعة فى الحيـاة الشخصية و الاجتماعية ، إن تأثيره و نطاق عمله محدود ضيق ، و بالأخص ذاك القانون الذى يكون من وضع الناس فانه عاجز و قاصر بالكلية فى هذه الناحية .

و ذلك لأن تضييق قيود القوانين الوضعية و توسيعها أمر يملكه الانسان ، فكلما تتفاقم رغبة الانطلاق و التحرر فى الناس تتضايق عليهم القيود الخانقة القديمة و يشعرون بالانزعاج من تطبيقها على الحياة ، ومهما عم فى الناس مثل هذا الشعور نحو قيد إخلاقى يضطر القانون إلى إرخاء قيوده بحكم ضغط من الرأى العام ، و هكذا تتراخى جميع قيود الأخلاق و تنحل عقدها تدريجياً ، و يبدأ تدهور عام فى الأخلاق ، و إن تدهور

الأخلاق ليس مما يمسك تأثيره السيئى وفرة الثراء و كثرة الأموال أو قوة الحكومة و الوسائل، و تدابير الحكم والحكمة ، إنما هو بمثابة الأرضة التى تتمكن من داخل الخشب فتتأكل جذوره و تنهار العمارة المبنية عليه .

هذا ، وللقومية والنفسانية أضرار كثيرة لا تخفى على ذوى البصيرة من الناس ، و هى لا تحتاج إلى شرح أو بيان ، لأنها مفهومة معلومة ، و انتقلت الآن من مرحلة النظريات إلى درجة المشاهدات ، و بفضلها فقط أوشكت حضارة عظيمة راقيـة على النهاية و صـارت إلى حيث لا تعود منه إلى الوراء ، و أصبح العالم كله يخشى من نتائجهـا الوخيمة التى لامراء فى ظهورها .

الاسلام و الخلق !

و الأمـــة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخلق .. الخلق الفاضل القوى المتين و النفس الـكبيرة العالية الطموح : إذ أنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول إليـــه إلا بالأخلاق القوية الصادقة من الايمان العميق و الثبات الراسخ و التضحية الـكثيرة والاحتمال البالغ ، و إنما يخلق هذه النفس الكاملة الاسلام وحده ، فهو الذى جعل صلاح النفس و تزكيتها أساس الفلاح ، فقال تعالى : « قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها » .

الامام حسن البنا

الاسلام فى العالم المعاصر !

الدكتور حسين نصر
الأستاذ بجامعة طهران - ايران
« معرب »

الانسان الجديد يعانى من تشتت شمل الحياة و من توزع علومه و دراساته و حتى حياته الاجتماعية أيضاً بين خلايا مختلفة ، و يبدو أن ضغط حياة الصناعة على المجتمع لا يرخى عقد القيود الاجتماعية فحسب ، بل سيمزق الشخصية الانسانية كل ممزق ، إن فكرة الوحدة فى الاسلام تتنافى مع هذا التوافر الصناعى وتوزيع حياة الانسان بين مختلف الأجزاء والخلايا، إن الاسلام يصرف وجه القوى التى تبعد الانسان عن مركزه ، وتريد أن تدنيه إلى المحيط ، حتى يعيد روحه إلى مركزه الحقيقى فى الحياة .

كل انسان يبحث اليوم عن الأمن و الهدوء و لكنه لا يظفر بذلك ، إذ من المستحيل أن يوجد الأمن والهدوء فى الحضارة التى أقصت فكرة الاله عن برامجها و استغنت عنها ، فان مبدء ما بعد الطبعيات يحكم بذلك ، إن الهدوء و الطمأنينة و السلام من خصائص النظام الذى يتصالح مع الاله و الطبيعة ، و لا يحاربهما ، و هذه الخصيصة تعتبر نتيجة للاتزان و الانسجام الذى يوجد من ترابط الشخصية و اتحادها طبق عقيدة التوحيد .

و من الجفاء مع الاسلام أن يقال إنه دين الحرب و السيف ، على

أنه دين يريد توجيه نعمة الأمن و الهدوء إلى الحياة الانسانية ، بالطاعة وبالخضوع أمام مشيئة الله ، فان الاسلام مشتق من السلم والسلام ومعناه إسلام النفس إلى الله ، و معنى الأمن والهدوء أن ينال كل ذى حق حقه و يتمتع به ، إن الاسلام يقيم اتزاناً جيداً بين مطالب الروح والجسد ، و بين مقتضيات الدنيا و الآخرة . أما الحضارة التى حصرت كل سعادة و هناء للانسان فى تحقيق النزوات الحيوانية فحسب و لا تعترف بأى ضرورة وراءها ، فلا تتمكن من توجيه السلامة و الطمأنينة إلى الحياة و العالم .

إن هذه الحضارة لا تسعى إلى تحقيق مطالب الانسان الروحية ، و تهيئة غذاء لقلبه لأنها لا ترى إلى الانسان إلا بالنظرة المادية وحدها ، و لا تعتبره إلا خلقاً مادياً فقط ، و لكن الانسان ليس كذلك ، بل إنه يحمل فى نفسه مطالب روحية أيضاً ، و يسعى لتحقيقها على كل حال، فان لم يجد من يوجهه إلى طريق صحيح يقع فى ارتباك و يصبح فريسة للروحانية الصناعية التى تبدو فى الظاهر كأنها شئ يختلف عن الحوائج المادية ، و لكنها فى الحقيقة لا تكون كذلك وتشكل له خطراً أكبر من المادية الخالصة ، بل و قد عادت هذه المشكلة خطراً كبيراً على حياتنا المادية البحتة التى نعتنقها و نتفانى فى سبيلها ، و نتخذها غايتنا القصوى .

إن رسالة الاسلام فى الواقع تتلخص فى إعطاء كل ذى حق حقه ، و وضع كل شئ فى محله و إحلال كل عنصر فى موضع مناسب له ، و إيجاد الاتزان بين الأمور المختلفة ، و معرفة الصحيح و السقيم ، وتمييز الحق و الباطل ، و الحقيقة أنها رسالة الاسلام الأساسية إلى كل عصر

و جيل و إلى هذا العالم المعاصر أيضاً ، أما الطمأنينة التى ينشدها الانسان فهى لا تتسنى له ما لم يراع جميع نواحى مطالبه و حوائجه ، و لا يعامل نفسه كحيوان فقط بل ينظر إليه كشخصية مستقلة تصلح للخلود و البقاء .

إن تركيز الاهتمام على مجرد المطالب المادية للانسان يبلغ به إلى درجة العبودية حيث تواجه الحياة المادية أيضاً مشكلات كثيرة يتعسر حلها ، إن مشكلة كثرة السكان ليست من معطيات الدين أبداً بل إنها منحة الطب الحديث ، و يطلب الآن من الدين أن يحل هذه المشكلة ، و يضع حداً على تكاثر التوالد والتناسل ، وذلك لكى يسلب من الانسان معانيه المقدسة إما بالكلية أو بعضها .

و من أهم المشكلات و القضايا فى العالم المعاصر إيجاد صلح وتعاون بين الديانات ، فان الاسلام يحمل رسالة خاصة للانسان فى العصر الحديث ، إنه يعتبر الايمان بالرسل السابقين جزءاً من الايمان ، و يضغط على كون الوحى رسالة عالمية ، و سوف لا يوجد هناك أى كتاب يتحدث عن الدين بكونه حاجة عالمية الانسان ، كما يتناول القرآن هذا الموضوع بالشرح و الايضاح .

إن الاسلام الذى هو آخر دين للجيل الانسانى الحاضر يتفق مع الديانة الهندوكية القديمة فى أن الدين يجب أن ينظر إليه فى كل دور من أدوار التاريخ البشرى كمظهر للحقيقة العالمية الخالدة ، و الذين لا يكتفون بجمع معلومات تاريخية أو علمية باسم الدراسة المقارنة للديانات و إنما يريدون أن يعودوا فى هذا المجال بنوع من التحقيق و الدراسة العميقة يستطيع الاسلام أن يعلمهم أشياء كثيرة عن هذا الموضوع على مستوى

ما بعد الطبيعة و الدين .

أما ما نرى من أن المسلمين لا يقبلون كثيراً على الدراسة المقارنة للاديان بالنسبة إلى أتباع الديانات الأخرى فان السبب فى ذلك أنهم لا يشعرون على الاسلام بخطر كبير يقلق بالهم ما دامت توجد فى العالم مذاهب روحية موثوق بها .

و بمناسبة الحديث حول السلام العالمى أرى من واجبى فى الأخير أن أتحدث قليلا عن ذلك الهدوء الروحى الذى بدأ يبحث عنه الناس بقلق و اضطراب و يتيهون فى نشدانه بعد ما سئموا من لعنات الحضارة المادية وويلات المدنية الصناعية ، حتى إن جماعة من الروحانيين المزعومين تسيطرت على أوربا حيث السآمة من الحياة الصناعية منتشرة ، وبدأ يشعر الناس هناك بأهمية العبادة و المراقبة بحكم الطبيعة ، و لكننا لا نجد من بينهم إلا عدداً قليلا يرضون بمباشرة الأعمال والمجاهدات - وفق مبادئ تستند إلى دين موثوق به - التى تؤديهم إلى السعادة و الطمأنينة التى لا تتيسر إلا بتصديق الحقيقة الخالدة الكبرى .

و لكن أكثر هؤلاء يلتجأون إلى مخدرات من الأدوية أو حبوب النوم ، و إلى « مراكز تربية النفوس » أو يستندون إلى أرباب التصوف الصناعى الذين يتوجهون من البلاد الشرقية إلى الغرب و ينتقمون من أهله على ما سبق من ظلمهم و عدوانهم على الديانات الشرقية فى عهد استعمارهم . .

يستطيع الاسلام أن يوجه السعادة و الطمأنينة إلى من فيهم مؤهلات ضرورية عن طريق الروحانية التى نسميها بالربانية و بفضلها يستطيع

الدّعوة الإسلاميّة

الانسان أن يذوق طعم النعيم فى هذه الدنيا ، إن هذه الربانية تحمل من الخصائص ما يؤهل الانسان أن يعتمد عليها فى كل مكان ، و كل شعبة من شعب الحياة ، ومن الخطأ الجسيم أن نعتبر أن هذه الربانية مؤسسة على الزهد و الرهبانية ، و قد قال أحد العارفين المعاصرين : انى لم أترك الدنيا و لكن الدنيا هى التى تركتنى ، و لا شك أن قطع العلاقة عن اعتبار الدنيا غاية بنفسها يجتمع مع النشاط العملى الشديد فى الحياة .

إن وجود الانسجام بين العمل و الحياة فى النظرة الروحانية يتفق و طبيعة التوحيد للاسلام ، إن قوة الاسلام الروحية بنشاطها العملى تخلق فى دنيا الخارج جواً يؤدى الانسان إلى التفكير فى الكون و مراقبة ذكر الله ، كما هو الظاهر فى الفنون الجميلة للاسلام فان الصراع الذى يعتبر من خصائص الحياة يتحول هنا إلى الهدوء الذى يتجلى فى مركز الذات الالهية .

الاسلام رسالة من الله إلى العنصر الانسانى الذى هو خالد دائم ، فلا تتقيد بقيود الزمان ، ولكن الله مع ذلك قد أودع فيه بعض الصفات المختصة التى تمكن الانسان من أن يتبعه فى كل زمان و مكان ، و ينتفع الناس كلهم بتعاليمه ، فان أظلنا زمن تفقد فيه الديانات بوجه عام والاسلام بصفة خاصة هذه الخصيصة فليس الاسلام هو فى الحقيقة الذى فقد خصائصه ومعنوياته بل إن ذلك الزمن هو الذى لم يعد صالحاً لفهم تلك الخصائص و المعنويات ، و أصبح هرما متفنداً « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء » و ما دام الزمن بوجه عام أو أى زمن خاص يحمل رمقاً من الحياة سيقبل على معنى الاسلام و يفهمه و يحاول تطبيقه على الحياة ، و ذلك لأن الاسلام مصدر الحقيقة الكبرى ، و منبع الحياة الفضلى .

الأستاذ الشهيد سيد قطب

التقوى ؛ غاية الصيام الكبرى

لقد كان من الطبيعى أن يفرض الصوم على الأمة التى يفرض عليها الجهاد فى سبيل الله ، لتقرير منهجه فى الأرض ، وللقوامة به على البشرية و للشهادة على الناس ، فالصوم هو مجال تقرير الارادة العازمة الجازمة ، و مجال اتصال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد ، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها ، و احتمال ضغطها و ثقلها ، إيثاراً لما عند الله من الرضى و المتاع .

و هذه كلها عناصر لازمة فى إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك ، والذى تتناثر على جوانبه الرغاب والشهوات و الذى تهتف بالسالكيه آلاف المغريات !

و ذلك كله إلى جانب ما يتكشف على مدار الزمان من آثار نافعة للصوم فى وظائف الأبدان ؛ و مع أننى لا أميل إلى تعليق الفرائض و التوجيهات الالهية فى العبادات — بصفة خاصة — بما يظهر للعين من فوائد حسية ، إذ الحكمة الأصيلة فيها هى إعداد هذا الكائن البشرى لدوره على الأرض ، و تهيئته للكمال المقدر له فى حياة الآخرة . . مع هذا فاننى لا أحب أن أنفى ما تكشف عنه الملاحظة أو يكشف عنه العلم من فوائد لهذه الفرائض و التوجيهات ، و ذلك ارتكاناً إلى الملحوظ و المفهوم من

مراعاة التدبير الالهى لكيان هذا الانسان جملة فى كل ما يفرض عليه وما يوجه إليه ، ولكن فى غير تعليق لحكمة التكليف الالهى بهذا الذى يكشف عنه العلم البشرى ، فمجال هذا العلم محدود لا يتسع و لا يرتقى إلى استيعاب حكمة الله فى كل ما يروض به هذا الكائن البشرى ، أو كل ما يروض به هذا الكون بطبيعة الحال :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ، أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ؛ فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر ، و لتكملوا العدة و لتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون » .

إن الله — سبحانه — يعلم أن التكليف أمر تحتاج النفس البشرية فيه إلى عون و دفع و استجاشة لتنهض به و تستجيب له ، مهما يكن فيه من حكمة و نفع ؛ حتى تقتنع به و تراض عليه .

و من ثم يبدأ التكليف بذلك النداء الحبيب إلى المؤمنين ، المذكر لهم بحقيقتهم الأصيلة ، ثم يقرر لهم — بعد ندائهم ذلك النداء — أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله فى كل دين ، و أن الغاية الأولى هى إعداد قلوبهم للتقوى و الشفافية و الحساسية و الخشية من الله :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من

قبلكم لعلكم تتقون » ..

وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم .. إنها التقوى .. فالتقوى هى التى تستيقظ فى القلوب وهى تؤدى هذه الفريضة ، طاعة لله ، وإيثاراً لرضاه ، والتقوى هى التى تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ، ولو تلك التى تهجس فى البال ، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ، ووزنها فى ميزانه ، فهى غاية تتطلع إليها أرواحهم ، وهذا الصوم أداة من أدواتها ، وطريق موصل إليها ، ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفا وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام .. « لعلكم تتقون » .

ثم يثنى بتقرير أن الصوم أيام معدودات ، فليس فريضة العمر وتكليف الدهر ، ومع هذا فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرون حتى يقيموا ، تخفيفاً وتيسيراً :

« أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

وظاهر النص فى المرض والسفر يطلق ولا يحدد ، فأى مرض وأى سفر يسوغ الفطر ، على أن يقضى المريض حين يصح والمسافر حين يقيم ، وهذا هو الأولى فى فهم هذا النص القرآنى المطلق ، والأقرب إلى المفهوم الاسلامى فى رفع الحرج ومنع الضرر ، فليست شدة المرض ولا مشقة السفر هى التى يتعلق بها الحكم إنما هى المرض والسفر إطلاقاً ، لارادة اليسر بالناس لا العسر ، ونحن لا ندرى حكمة الله كلها فى تعليقه بمطلق المرض ومطلق السفر ، فقد تكون هناك اعتبارات أخرى يعلمها الله

ويجهلها البشر فى المرض والسفر ، وقد تكون هناك مشقات أخرى لا تظهر للحظتها ، أو لا تظهر للتقدير البشرى .. وما دام الله لم يكشف عن علة الحكم فنحن لا نتأولها ، ولكن نطيع النصوص ولو خفيت علينا حكمتها ، فوراءها قطعا حكمة ، وليس من الضرورى أن نكون نحن ندركها .

يبقى أن القول بهذا يخشى أن يحمل المترخصين على شدة الترخص ، وأن تهمل العبادات المفروضة لأدنى سبب ، مما جعل الفقهاء يتشددون ويشترطون ، ولكن هذا - فى اعتقادى - لا يبرر التقييد فيما أطلقه النص ، فالدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات ، إنما يقودهم بالتقوى وغاية هذه العبادة خاصة هى التقوى ، والذى يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء ، لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لا تتحقق ، وهذا الدين دين الله لا دين الناس ، والله أعلم بتكامل هذا الدين ، بين مواضع الترخص ومواضع التشدد ، وقد يكون وراء الرخصة فى موضع من المصلحة ما لا يتحقق بدونها ، بل لابد أن يكون الأمر كذلك ، ومن ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذ المسلمون برخص الله التى رخصها لهم ، وإذا حدث أن فسد الناس فى جيل من الأجيال فان إصلاحهم لا يتأتى من طريق التشدد فى الأحكام ، ولكن يتأتى من طريق إصلاح تربيتهم وقلوبهم واستحياء شعور التقوى فى أرواحهم ، وإذا صح التشدد فى أحكام المعاملات عند فساد الناس كعلاج رادع ، وسد للذرائع ، فان الأمر فى الشعائر التعبدية يختلف ، إذ هى حساب بين العبد والرب ، لا تتعلق به مصالح العباد تعلقاً مباشراً كأحكام المعاملات التى يراعى فيها الظاهر ، والظاهر فى

العبادات لا يجدى ما لم يقم على تقوى القلوب ، و إذا وجدت التقوى لم يتلفت متلفت ، و لم يستخدم الرخصة إلا حيث يرتضيها قلبه ، و يراها هى الأولى ، ويحس أن طاعة الله فى أن يأخذ بها فى الحالة التى يواجهها أما تشديد الأحكام جملة فى العبادات أو الميل إلى التضييق من إطلاق الرخص التى أطلقتها النصوص ، فقد ينشئ حرجا لبعض المتحرجين ، فى الوقت الذى لا يجـدى كثيراً فى تقويم المنفلتين . . و الأولى على كل حال أن نأخذ الأمور بالصورة التى أرادها الله فى هذا الدين ، فهو أحكم منا و أعلم بما وراء رخصه و عزائمه من قريبة و بعيدة . . و هذا هو جماع القول فى هذا المجال .

و قد جعل الصوم للمسافر و المريض فى أيام أخر ، لكى يتمكن المضطر من إكمال عدة أيام الشهر ، فلا يضيع عليه أجرها :

« و لتكملوا العدة » .

و الصوم على هذا نعمة تستحق التكبير و الشكر :

« و لتكبروا الله على ما هداكم ، و لعلكم تشكرون » .

فهذه غاية من غايات الفريضة . . أن يشعر الذين آمنوا بقيمة الهدى الذى يسره الله لهم ، و هم يجدون هذا فى أنفسهم فى فترة الصيام أكثر من كل فترة ، و هم مكفوفو القلوب عن التفكير فى المعصيـة ، و مكفوفو الجوارح عن إتيانها ، و هم شاعرون بالهدى ملموساً محسوساً ، ليكبروا الله على هذه الهدايه ، وليشكروه على هذه النعمة ، و لتفيء قلوبهم إليه بهذه الطاعة ، كما قال لهم فى مطلع الحديث عن الصيام : « لعلكم تتقون » .

مقر الانسان فى الاخرة !

فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى
منشئ مجلة « الفرقان » الشهرية
« معرب »

الجنة و النار :

الحقيقة التى صرح بها جميع الأنبياء والرسل و جميع الصحف السماوية هى أن الحياة الحقيقية الأصيلة إنما هى حياة الآخرة ، و أن مقر الانسان الدائم هو الجنة أو النار ، والجنة آخر مظهر من مظاهر رحمة الله وفضله و رأفته بعباده ، حيث تظهر صفاته الجماليـة بأكمل أشكالها و مظاهرها ، و كذلك النار آخر مظهر من مظاهر قهر الله و غضبه حيث تبدو صفاته الجلالية بأتم ألوانها و صورها .

و كل ما أخبر به الأنبياء و الرسل عن الجنة والنار إنما هو حق لا مراء فيه ، وسوف يظهر على حقيقة ما بينوه و أخبروا به الناس ، و ليس ذلك مجرد تهديد أو ترغيب كما يتظاهر الكبار للاولاد و الصغار إذا طلبوا منهم عملا أو أرادوا منهم الامتناع عن عمل ، و هل هناك سفاهة أشد من أن يعتقد أحد أن تصريح الأنبياء حول الجنـة و النار ليس إلا نوعاً من التهديد و الترغيب - لكى يقبل الناس على عمل الخير و يتجنبوا الشر - إذ لا وجود لهما فى الواقع ، و لا فرق بين من يعتقد أن بيان الأنبياء حول ذات الله و صفاته أو عن القيامة و أهوالها إنما

هو لمجرد الانذار و التعليل ، و ليس لها أى حقيقة ،

و بما أن القرآن كتاب الله الأخير و ليس بعده أى كتاب ينزل من الله لهداية الناس ، يتضمن بيان الجنة والنار بتفصيل وإيضاح كسائر المعانى و المحتويات الأخرى ، و قد أكثر القرآن ذكر هاتين الحقيقتين بما فيه كفاية لبعث الدوافع الخيرة فى النفس ومنعها عن الوقوع فى المنكرات و السيئات ، بشرط أن لا يكون القلب قد فقد حياته و شعوره .

فلنقرأ آيات تتضمن ذكر الجنة و النار ، و هذه آيات تتحدث عن النار و عذابها ، جاءت فى سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا ، قوا أنفسكم و أهليكم نارا وقودها الناس و الحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » و فى سورة الكهف : « و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب و ساءت مرتفقاً » و قال تعالى فى سورة محمد : « و سقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم » و جاء فى سورة المؤمن : « الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم و السلاسل ، يسحبون فى الحميم ، ثم فى النار يسجرون » و فى سورة الحج « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، يصب من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به ما فى بطونهم و الجلود ، و لهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ، و ذوقوا عذاب الحريق » .

و وصف فى سورة الدخان « الزقوم » الذى يأكله أصحاب النار ،

فيغلى فى بطونهم كغلى الحميم « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم ، خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم » و قال فى سورة ابراهيم يصف المجرمين و ما يقاسونه من عذاب « و يسقى من ماء صديد يتجرعه و لا يكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ، و من ورائه عذاب غليظ » و فى سورة الفاطر « و الذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزى كل كفور ، و هم يصطرخون فيها : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير » و فى سورة الزخرف « إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ، و ما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين » .

و أقرأو آيات عن الجنة و نعيمها و بيان ما فيها من قرة أعين ، فقد قال تعالى فى سورة آل عمران يصف الجنة و بعض نعيمها « للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ؛ و أزواج مطهرة و رضوان من الله ، و الله بصير بالعباد » وفى سورة محمد « مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن ، و أنهار من لبن لم يتغير طعمه ، و أنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، و لهم فيها من كل الثمرات و مغفرة من ربهم » و جاء فى سورة الحجر « إن المتقين فى جنات و عيون ، ادخلوها بسلام آمنين و نزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين » .

و قال فى سورة يس « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ، هم و أزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة و لهم فيها ما يدعون ، سلام قولا من رب رحيم » وفى سورة الزخرف « يا عباد لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون ، الذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين ، ادخلوا الجنة أنتم و أزواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب و أكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين وأنتم فيها خالدون » .

و جاء فى سورة الفاطر أن أصحاب الجنة حينما يرون ما يخصهم من نعيم الجنة و لذاتها ، و يرون ما من الله به عليهم من فضله و رحمته لا يتمالكون أنفسهم ، و تنطلق ألسنتهم بالحمد والشكر « وقالوا الحمد الله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » .

و بالتأمل فيما جاء من وصف جهنم فى القرآن يبدو أن الشقاء والآلام التى يحذر منها الانسان فى هذه الدنيا و يتوقاها بحكم طبيعته يجتمع كل ذلك فى جهنم أكثر مما فى هذه الدنيا آلاف المرات و الأضعاف ، إن القرآن الكريم يهدف من ذكر النار و آلامها إلى أن الذين لا يستطيعون تحمل الآلام و العذاب فى هذه الدنيا ليوم واحد يجب عليهم أن يتجنبوا المعاصى والذنوب التى تهديهم إلى طريق جهنم حيث يبتلون بعذاب الخلود و شقاء الأبد .

و كذلك موضوع الجنة فى القرآن ، يشير إلى أن الانسان يجد فيها كل نعمة و لذة بشكلها النهائى ، لأنه بحكم طبيعته ميال إلى الراحة واللذة ، و هو مفطور على حب النعيم و العافية ، فينبغى أن يتخذ طريق العمل

الصالح و طاعة الله و الحصول على مرضاته ، الذى يؤديه إلى الجنة ، حيث ينال كل ما يرغب فيه من نعيم و سعادة ، و كل ما يتمناه من لذة و راحة و عافية ، و يخلد فيها من غير انقطاع و لا فناء .

إن منهج الحياة الذى يدعو إليه الاسلام يقوم على معتقدات أساسية ، أولا : الايمان بذات الله سبحانه و تعالى و الاعتقاد بصفاته فى مظاهرها الحقيقية .

ثانياً : الايمان بالآخرة و ما فيها من ثواب و عقاب ، و اعتبار الآخرة مظهراً من مظاهر صفة عدل الله و شأن حاكميته ، و لا قيمة لهذه الدنيا و ما فيها من خلق و أمر بغير الآخرة بل إنها تعود عبثاً من الأعمال .

و قد أسلفنا هاتين العقيدتين الأساسيتين فيما سبق من الكلام حول هذا الموضوع ، و سنبين عقيدة ثالثة و هى الايمان بالرسل ، الذى يدعو إليه القرآن و يعتبره أساساً لدعوته و توجيهاته .

ينبغى أن ننهى هذا الموضوع بهذا الدعاء « اللهم إنا نسألك رضاك و الجنة ، و نعوذ بك من غضبك و النار » .

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

صور من التطبيقات العملية

لفهم المسلمين الأوائل الاسلام على حقيقته

موقف أبي بكر الصديق رضى الله عنه من القبائل التى ارتدت عن الاسلام :

و ما موقف أبى بكر الحازم من القبائل التى ارتدت عن الاسلام إلا تعبير عن مدى قوة فهمه للاسلام ، و قوة تطبيقه له ، فهو يفهم أن الاسلام يقضى بالعمل بجميع التعاليم التى جاءت بها الشريعة الاسلامية ، و أن موقف أبى بكر رضى الله عنه من المرتدين هو الذى حفظ للاسلام قوته و استمراره .

نقل الحافظ ابن كثير فى البداية و النهاية من رواية تتصل بأبى هريرة أنه قال : « والله الذى لا إله إلا هو ، لو لا أبو بكر استخلف ما عبد الله » ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد فى سبع مأة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ! ؟ فقال : « والله الذى لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ، و لا حللت لواء عقده رسول الله » .

فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لو لا أن لهؤلاء قوة ، ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، و لكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم ، و قتلوهم و رجعوا سالمين ، فثبتوا على الاسلام .

و نقل ابن الأثير فى كتاب الكامل فى التاريخ عن ابن مسعود أنه قال : لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاما كدنا نهلك فيه لو لا أن الله من علينا بأبى بكر أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض و ابن لبون ، و أن نأكل قرى عربية ، و نعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم ، فوالله ما رضى منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية ، فأما الخطة المخزية فأن يقروا بأن من قتل منهم فى النار ، و من قتل منا فى الجنة ، و أن يدوا قتلانا ، و نغنم ما نأخذ منهم ، و أن ما أخذوا منا مردود علينا ، و أما الحرب المجلية فان يخرجوا من ديارهم .

و جاء فى كتب التاريخ عن أخبار الردة ، أنه لما مات النبى محمد ﷺ و سير أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب و تضرمت الأرض ناراً ، و ارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً و ثقيفاً .

اجتمعت أسد و غطفان وطئ على طلحة الأسدى ، و بعثوا وفوداً إلى المدينة فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس ، و حملوهم إلى أبى بكر على أن يقيموا الصلاة و لا يؤتوا الزكاة .

و قد تكلم الصحابة مع الصديق رضى الله عنه فى أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ، و يتألفهم حتى يتمكن الايمان فى قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك و أباه .

و قد روى الجماعة فى كتبهم سوى ابن ماجة عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر علام تقاتل الناس ، و قد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله محمداً رسول الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم إلا بحقها » فقال أبو بكر : « و الله لو منعونى عناقا ، (و فى رواية : عقالا) (١) . كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعهـــا ، إن الزكاة حق المال ، و الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة » .

قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق ، لم يطق الصـــديق قبول تطبيق حكم الله فى الأرض

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية : « و فى حديث أبى بكر : لو منعونى عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه : أراد بالعقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى الصدقة ؛ لأن على صاحبها التسليم ، و إنما يقع القبض بالرباط ، و قيل : أراد ما يساوى عقالا من حقوق الصدقة ، و قيل : إذا أخذ المصدق أعيان الأبل : قيل أخذ عقالا ، و إذا أخذ أثمانها قيل أخذ نقداً ، و قيل أراد بالعقال صدقة العام ، يقال : أخذ المصدق عقال هذا العام ،أى أخذ منهم صدقته . و بعث فلان على عقال بنى فلان ، إذا بعث على صدقاتهم ، و اختاره أبو عبيدة وهو أشبه عندى بالمعنى ، و قال الخطابى : إنما يضرب المثل فى مثل هذا بالأقل لا الأكبر ، و ليس بسائر فى لسانهم ، لأن العقال صدقة عام ، و فى أكثر الروايات لو منعونى عناقاً ، و فى أخرى جدياً .

ناقصاً غير كامل ، صعب عليه جداً أنه لا تكون العزة لحكم الله و حكم رسوله فى الأرض و رأى أن القعود عن ذلك فيه مخالفة صريحة لقوله تعالى : « و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين » .

و الروح المتصلة بالله لا يمكن أن تشعر بالخذلان فى سبيل نصرة الله و اعلاء كلمته ، و قـــد وعد الله تعالى بنصر من ينصره قال تعالى : « و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » (سورة الحـــج الآية ٤٠) .

و قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (سورة محمد . الآية : ٧) .

و قال تعالى : « و كان حقاً علينا نصر المؤمنين » (سورة الروم الآية : ٤٧) .

و لما قيل للصديق : و مع من تقاتل المرتدين ؟

قال رضى الله عنه : « وحدى حتى تنفرد سالفتى » أى حتى أموت .

بعد وفاة رسول الله ﷺ و التحاقه بالرفيق الأعلى أصبح الصديق لفترة و أن كانت وجيزة يحمل لواء الحق و العدل وحيداً ، يعمل على تثبيت لواء الاسلام و من أجل تنفيذ تعاليم الله كاملة ، متمسكا بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، لا تأخذه فى الله لومة لائم .

سرعة انصياع النفوس المؤمنة للحق بعد ادراكه :

و أما الفئة المؤمنة ، المعتصمة بدين الله ، المهتدية بهديه ، المتمسكة بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، التى تتحرى معرفـــة حكم الله فى كل

عمل تقوم به لتنفيذه مهما كان العمل صغيراً أو كبيراً ، تلك النفوس التى تتحرى تطبيق تعاليم الاسلام كاملا ، و لا تبتغى فى الحياة الدنيا غاية إلا رضوان الله تعالى ، سرعان ما أدركت أن ما عزم عليه الصديق لهو الحق .

انصاع المؤمنون الصادقون للحق بعد أن فهموا أن الزكاة حق المال و رأوا أنه فرض عين على كل مسلم تطبيق قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم إلا بحقها » .

أدرك المؤمنون الصادقون أن من يمنع الزكاة فهو منكر لحكم من أحكام الاسلام ، و أن ايمانه ليس بكامل ، و أن الايمان الصحيح هو الايمان بكتاب الله جميعه و تنفيذه و تنفيذ كل ما جاء به آية آية ، والأخذ بما جاء به الرسول ﷺ و انتهاء عما نهى عنه ، لقوله تعالى فى كتابه العزيز : « ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا » (سورة الحشر . الآية . ٧) .

أدرك المؤمنون الصادقون أن عدم الايمان و ترك العمل بأى حكم من أحكام الاسلام عمداً لهو ارتداد عن الاسلام و حكمه كحكم الكافر بجميع أنظمة الاسلام .

و فى سبيل تطبيق الاسلام كاملا ، هب المسلمون الذين ثبتوا على اسلامهم ، و رأوا أن ما جاء به الرسول محمد ﷺ هو الحق من ربهم ، هبوا إلى نصرة الله و إلى اعلاء كلمة الله ، و استعذبوا الشهادة إذ أن غاية المسلم هى نيل الشهادة فى سبيل الله و يرى فى ذلك نصراً دونه كل نصر .

حرب الصديق للمرتدين (١)

دعوة الصديق المسلمين أن يأخذوا حذرهم من عدوهم :

استجابه لأمر الله سبحانه و تعالى المسلمين المحاربين فى سبيله بأن يأخذوا حذرهم من عدوهم و ألا يغفلوا لحظة واحدة فيؤخذوا خدعة و بغتة لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » سورة النساء الآية : ٧١ .

استجابة لأمر الله أمر الصديق المسلمين بأن يأخذوا حذرهم من عدوهم و أن يستعدوا لهم إخراج نفر من المسلمين على أنقاب المدينة :

بعد أن رد الصديق وفود المرتدة ، الذين جاءوا إليه يطلبون منه أن يقيموا على الصلاة على أن يؤتوا الزكاة ، و عزم على مجاهدة من يمنعه عقالا كان يؤديه لرسول الله ﷺ و أعلن عن عزيمته على قتال كل من يفرق بين الصلاة و الزكاة .

« فردهم ، فرجع وفد من يلى المدينة من المرتدة إليهم ، فأخبروا عشائرهم بقلة أهل المدينة و أطمعوهم فيها » .

« و جعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً : علياً و الزبير و طلحة و عبد الله بن مسعود » .

أبو بكر يهئ المسلمين للقتال و يجمعهم فى المسجد :

---

(١) العبارات الواردة بين قوسين : « » مأخوذ من كتاب تاريخ الطبرى - تاريخ الرسل و الملوك - لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٤٤ - ٣١٠ هـ) - الجزء الثالث - تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر - ١٩٦٢م ص ٢٢٤ - ٢٤٩ .

« و أخذ أهل المدينة بحضور المسجد ، و قال لهم : إن الأرض كافرة و قد رأى وفدهم منكم قلة ، و إنكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهاراً و أدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم ، و قد أبينا عليهم و نبذنا إليهم عهدهم ، فاستعدوا و أعدوا .

غارة المرتدين ليلا على المدينة و يقظة سهر المسلمين :

« فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل ، و خلفوا بعضهم بذى حسى ليكونوا لهم درءاً ، فوافق الغوار ليلا الأنقاب ، وعليها المقاتلة ، و دونهم أقوام يدرجون فنبهوهم ، وأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أماكنكم ، ففعلوا » ،

تشتيت المسلمين لشمل المرتدين المغيرين :

« و خرج أبو بكر فى أهل المسجد على النواضح إليهم ، فانفش العـدو (أى انهزم و فشل) فاتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حسى (بضم الحاء و فتح السين) و رجع المسلمون فلم يصرع مسلم و لم يصب » .

سرعة تنظيم جيش المسلمين فى تلك الليلة :

« و عند ما رجع المسلمون ظن القوم بالمسلمين الوهن ، و بعثوا إلى أهل ذى القصة (بفتح القاف و الصاد) بالخبر ، فقـدموا عليهم اعتماداً فى الذين أخبروهم و هم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذى أراده و أحب أن يبلغه فيهم :

فبات أبو بكر ليلته يتهيأ فعبى الناس »

خروج أبى بكر بالمسلمين لقتال المرتدين للمرة الثانية فى ليلة واحدة :

« ثم خرج أبو بكر على تعبية من أعجاز ليلته ، يمشى و على ميمنته النعمان بن مقرن ، و على ميسرته عبد الله بن مقرن ، و على الساقة سويد بن مقرن معه الركاب ، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو فى صعيد واحد » هزيمة المرتدين الثانية .

« فاقتتلوا أعجاز ليلتهم ، فما ذر قرن الشمس حتى ولوا الأدبار ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ، و قتل حبال (وهو أخو طليحة الأسدى) واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة - وكان أول الفتح » .

رجوع الصديق إلى المدينة :

« و وضع بذى القصة النعمان بن مقرن فى عدد ، و رجع إلى المدينة ، فذل بها المشركون » .

وثوب بعض القبائل على من فيهم من المسلمين :

« فوثب بنو ذبيان و عبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كل قتلة ، و فعل من وراءهم فعلهم ، و عز المسلمون بوقعة أبى بكر ، وحلف أبو بكر ليقتلن فى المشركين كل قتلة ، و ليقتلن فى كل قبيلة ممن قتلوا من المسلمين و زيادة » .

قدوم جيش أسامة و خروج الصديق لحرب المرتدين للمرة الثالثة :

و قدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين و أيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة و قال له و لجنده : أريحوا و أريحوا ظهركم .

« ثم خرج فى الذين خرجوا إلى ذى القصـــة و الذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر ، فقال له المسلمون : ننشدك الله يا خليفة رسوله أن تعرض نفسك فانك إن تصب لم يكن للناس نظام ، و مقامك أشد على

الفقه الإسلامي

العدو ، فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخر ، فقال : لا والله لا أفعل ، و لأواسينكم بنفسى ، فخرج فى تعبيته إلى ذى حسى ، و القصة و النعمان و عبد الله و سويد على ما كانوا عليه .

هزيمة المرتدين بالأبرق :

« حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق ، فاقتتلوا فهزم الله الحارث و عوفا و أخذ الحطيئة أسيراً ، فطارت عبس و بنو بكر و أقام على الأبرق أياماً و قد غلب بنى ذبيان على البلاد » .

رجوعه إلى المدينة و خروجه إلى ذى القصة للمرة الرابعة :

ثم رجع إلى المدينة فلما جم جند أسامة و تاب من حول المدينة خرج إلى ذى القصة فنزل بهم و هو على بريد المدينة تلقاء نجد .

عقد الألوية لغزو المرتدين فى عقر دارهم

« فقطع الجند و عقد الألوية ، عقد أحد عشر لواء مع أحد عشر جنداً ، و أمر أميراً على كل جند باستنفار من مر به من المسلمين من أهل القوة ، و تخلف بعض أهل القوة لمنع بلادهم » .

★

الأستاذ محمد ممدوح سليم

من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه

يقع فى وهم من لا يدرى حقيقة الاسلام أن شريعته لا توافق حال العصر الحاضر ، و يبنى توهمه هذا على أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح ، و مصالح العصور تختلف اختلافاً كثيراً . فالدعوة إلى بقاء أحكامها نافذة هى فى نظرة دعوة إلى خطة غير صالحة ، ذلك ما نقصد فى هذا المقال تفنيده وتفصيل القول فى دفع شبهته ، حتى يثبت بالدليل المرأى رأى العين أن الشريعة الغراء تساير كل عصر ، و تحفظ مصالح كل جيل .

و لما كان التشريع الاسلامى يعتمد فى معظم أحكامه على الاجتهاد استدعى البحث أن نصدره بكلمة فى الاجتهاد ، و فى هذه العجالة سترى شيئاً من عظمة عطاء الشريعة .. و لا إخالك إلا أن تقرأ البحث بدقة فلا تأتى على آخره حتى تشهد بأنهم كانوا هداة مصلحين . و نأخذ بعد بحث الاجتهاد فى تقرير الأصول التى جعلت الشريعة تسع مقتضيات العصور على اختلافها وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها ، ونسوق تلك الشواهد على هذا من عمل القضاة و رجال الفتوى حتى لا يبقى فى صدرك حرج من مزاعم أولئك الذين يكتبون أو يخطبون فيما لا يعلمون .

الاجتهاد فى أحكام الشريعة

شريعة الاسلام عامة فلا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل ،

و دائمة فلا يختص بها جيل دون جيل ، و أفعال البشر على اختلاف أجناسهم و تعاقب عصورهم لا تنتهى إلى حد و لا تدخل تحت حصر . . و من أجل هذا لم تزل أحكامها فى نسق واحد من أصول كلية يستنبطها الذين أوتوا العلم عند الحاجة إليها . .

يتمكن العالم من استنباط الأحكام بمعرفة أمرين :

(احداهما) الأدلة السمعية التى تنتزع منها القواعد و الأحكام .

(ثانيهما) وجود دلائل اللفظ المعتد بها فى لسان العرب واستعمال البلغاء .

و يرجع النظر فى الأدلة السمعية إلى الكتاب و السنة و الاجماع و يتصل بهذه الأدلة أصول اختلفت فيها أنظار الأئمة ، كمذهب الصحابى ، و عمل أهل المدينة ، و بشرع من قبلنا الذى لم يرد فى شريعتنا ما ينسخه ، فان الأخذ بهذه الأصول يرجع إلى التمسك بدليل منقول لا يدخل فيه العقل إلا على وجه التفهم كما يدخل فى غيره من نصوص الكتاب والسنة و يرجع النظر فى وجوه الدلالات إلى دلالة بالمنطق ، و دلالة بالمفهوم و دلالة بالمعقول و من متناول دلالة المعقول ذلك الأصل الكبير الذى يسمونه القياس ويضارع القياس فى هذه الدلالة أنواع جرى فيها الخلاف بين أهل العلم ، مثل الاستصحاب ، و مصالح المرسلة ، و مراعاة العرف ، و سد الذرائع .

ثم إن الدلالة قد تتزاحم فى نظر المجتهد و يراها واردة على قضية واحدة ، وكل منها يقتضى من الحكم غير ما يقتضيه الآخر ، فيحتاج إلى أن ينقب عن الوجوه التى يترجح بها جانب أحدها ليعتمد عليه فى تقرير

الحكم . .

فدخل فى الأركان التى يقوم عليها الاجتهاد القدرة على الموازنة بين الأدلة و ترجيح أقواها على ما هو دونه عند تعارضها ، فمن كان على بصيرة من الأدلة السمعية و وجوه دلالتهـا و طرق الترجيح بين الأدلة عند تعارضها . فقد قبض على زمام الاستنباط و استعد لأن يجلس على منصة الاجتهاد .

فالاجتهاد بذل الفقيه الوسع لاستخراج الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية .

شرائط الاجتهاد

قلنا : إن الاجتهاد يدور على معرفة الأدلة السمعية ، و وجوه دلالتها و طرق الترجيح عند تعارضهـا ، أما معرفة الأدلة السمعية فتتحقق بمعرفة الكتاب و السنـة و الأحكام المشتركة بينهما كالعلم بالناسخ و المنسوخ و الأحكام الخاصة بالكتاب كالعلم بوجوه القراءات و الأحكام الخاصة بالسنة كالعلم بأصول الحديث وأحوال الرواة . .

وأما معرفة وجوه الدلالات فتتحقق بالفرق بين المنطوق والمفهوم ، و المجمل و المبين و النص و الظاهر ، والعام و الخاص ، والمطلق والمقيد ، و الحقيقة و المجاز ، و المحكم و المتشابه والصريح و الكناية ، و المعانى التى يدل عليها الكلام بنفسه والمعانى التى يراعيها البلغاء ويسمى بها علماء البيان بمستتبعات التراكيب . .

فمن شروط الاجتهاد العلم باللغة و النحو و المعانى و البيان ، وبجمل القول أن يكون عارفاً باللسان العربى ووجوه تصرفات ألفاظه ومعانيه

معرفة ترفعه بين علماء اللغة و بلغائها مكاناً عالياً .

أما طرق الترجيح فمنها ما يعرف بالنظر فى علوم الشريعة كتقديم ما يتلى فى الكتاب الكريم على ما يروى على أنه حديث ، و منها مايعرف بالبحث عن حال الرواة كتقديم ما يرويه البخارى على ما يرويه غيره ، و منها ما يعرف فى علوم اللغة كتقديم النص على الظاهر و المنطوق على المفهوم . .

الكتـاب :

ذكرنا فى شروط الاجتهاد العلم بالقرآن الكريم و لا سيما آيات الأحكام التى قدرهـا الغزالى و ابن العربى بخمس مأة آية ، واقتصرا فى تقديرها على هذا العدد لأنهم رأوا مقاتل بن سليمان وهو أول من أفرد آيات الأحكام فى تصنيف — قد جعلها خمس مأة آية ، و قد نازعهم ابن دقيق العيد فى هذا التقدير ، و قال مقدار آيات الأحكام لا ينحصر فى هذا العدد بل هو يختلف باختلاف القرائح و الأذهان و ما يفتحه الله من وجوه الاستنباط الراسخ فى علوم الشريعة يعرف أن من أصولها أو أحكامهـا ما يؤخذ من موارد متعددة حتى الآيات الواردة فى القصص و الأمثال .

و قد عنى طائفة من العلماء بآيات الأحكام بعـد مقاتل فألفوا فى تفسيرهـا خاصة كما فعل منذر بن سعيد البلوطى قاضى قرطبة المتوفى سنة ٣٥٥ و أبو بكر أحمد بن على الرازى الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ و أبو بكر بن العربى المتوفى سنة ٤٦٨ وعبد المنعم بن محمد المعروف بابن الفرس المتوفى سنة ٥٩٩ .

السنـــة :

أوردنا فى شروط الاجتهاد العلم بسنة رسول الله ﷺ وقد اختلف أهل العلم فى القدر الذى فهمه كفاية ، فقال أبو بكر بن العربى فى كتاب المحصول : هى ثلاثة آلاف حديث و نقل عن أحمد بن حنبل أن الأصول التى يدور عليها العلم ينبغى أن تكون ألفاً و مأتين و يذهب ابن القيم إلى أن الأصول التى تدور عليها الأحكام خمس مأة حديث و هى مفصلة فى نحو أربعة آلاف حديث .

والحق فى جانب من يقول أنه لا يحق الاجتهاد إلا لمن كان عالماً بما اشتملت عليه مجاميع السنة كالأمهات الست و ما يلحق بها من الكتب التى التزم مصنفوها الصحة فيما يروون ، إذن من المحتمل أن يوجد فيها ما يدل على الحكم صراحة و يأتى الاستنباط بما يخالفها ، وكان أهل العلم فيما سلف إنما يرجعون بالواقعة إلى الاستنباط بعد أن يبحثوا جهد استطاعتهم فلا يظفروا بآية أو سنـــة تنص على حكمها . . و فى كتاب القضاء لأبى عبيد أن أبا بكر الصديق كان إذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى فان وجد منه ما يقضى به قضى به ؛ و إن لم يجـــد فى كتـاب الله نظر فى سنة رسول الله ﷺ ، فان وجد فيها ما يقضى به قضى به . فان أعياه ذلك سأل النـــاس هل علمتم أن رسول ﷺ قضى منه بقضاء ؟

فربما قام إليه القوم فيقولون قضى منه بكذا و كذا ، فان لم يجد سنة سنها النبى ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به و كان عمر يفعل ذلك .

و الحديث الذى يرويه أحد الأئمة و يصله بما ينبئ عن صحته ، يسـ غ للفقيه من عرف مذهب الراوى فى التعديل أن يعتمد على تصحيحه ، و من هذا القبيل مايرويه البخارى و مسلم فى صحيحيهما ، و أما ما يروى فى الكتب التى لا تخلو من الضعف فلابد له من النظر فى سند الحديث و البحث عن سيرة من يجهل حاله حتى يكون على بينة من أمره .

علوم اللغة العربية :

أخذنا فى شروط المجتهد أن يكون قائماً على علوم اللغة العربية بحيث يبلغ فى فهم الكلام العربى مبلغ العرب الناشئين فى الجاهلية أو فى صدر الاسلام ، قال أبو اسحاق الشاطبى : لاغنى فى الشريعة عن بلوغ درجة الاجتهاد فى كلام العرب بحيث يصير فهم خطابها طبعاً غير متكلف .

و قد يقع فى خاطرك أن شرط الاجتهاد فى اللسان العربى يجعل رتبة الاجتهاد فى الشريعة بمنزلة المتعذر ، فانه يقتضى أن يسلك الفقيه فى البحث عن معانى الألفاظ و أحكامها و وجوه بلاغتها الطرق التى سلكها أئمة تلك العلوم و لا يكفيه أن يأخذ من القاموس أن النكاح مثلا يطلق على الوطء و العقد ، و من كتاب سيبويه أن الحفظ يكون بالجوار ومن دلائل الاعجاز تقديم المعمول أو تعريف المسند يفيـــد القصر حتى يتتبع كلام العرب بنفسه و يقف على صحة إطلاق النكاح على الوطء و العقد ، و يظفر بشواهد كثيرة يحقق بها قاعدة الحفظ بالجوار و شواهد أخرى يعلم بها أن تقديم المعمول أو تعريف الطرفين يفيد الحصر و تكليفه بأن يبلغ فى علوم اللغة هذه الغاية يشبه التكليف بما لا تسعه الطاقة و جواب هـــذا :

إن المجتهد فى الشريعة لابد له من أن يرسخ فى علوم اللغة رسوخ البالغين درجة الاجتهاد و له أن يرجع فى أحكام الألفاظ و معانيها إلى رواية الثقة و ما يقوله الأئمة و إذا وقع نزاع فى معنى أو حكم توقف عليه فهم نص شرعى تعين عليه حينئذ بذل الوسع فى معرفة الحق بين ذلك الاختلاف ، و لا يسوغ له أن يعمل على أحد المذاهب النحوية أو البيانية فى تقرير حكم إلا أن يستبين له رجحانه بدليل . .

فالمجتهد فى أحكام الشريعة و إن ساغ له التقليد فى العلوم التى هى وسائل الاستنباط يجب عليه أن يكون فى معرفتها بمكانة سامية ، حتى إذا جرى اختلاف فى رتبة حديث أو قاعدة عربية احتاج إلى تطبيقها ، جرد نظره لاجتلاء الحقيقة دون أن يقف وقفة الحائر أو يتمسك بأحد الآراء على غير بينة . .

مسائل علم الأصول منها ما يستمد من النظر فى الكتاب و السنة و منها ما يستمد من النظر فى علوم اللغة العربية فمكن من تضلع من موارد الشريعه و رسخ فى فهم لسان العرب أن يدرك هذه الأصول بنفسه كما أدركها الأئمة الذين نهضوا بالاجتهاد قبل أن يدون علم الأصول، و لكن الوصول إلى مسائل الأصول و هى مدونة أسهل على الطالب من أن يبذل جهده فى استقرائها و يرسل فكره فى اقتناصها ، باحثاً عنها فى أبواب متفرقة ، و موارد متشعبة و على أى حال كان طالب الاجتهاد فى الأحكام لا يستقر له هذا المنصب إلا أن ينظر فى الأصول نظر الباحث المستقل بحيث لا يبنى فى الاستنباط على الاستصحاب أو سد الذرائع مثلا و لا يقدر الحكم اعتماداً على عمل أهل المدينة أو مذهب الصحابى ،

متابعة لمن يقول بحجيتها ، فالاجتهاد فى الأصول بمنزلة الأساس للاجتهاد فى الأحكام فلا يدخل فى قبيل المجتهد المطلق من يبنى فى تقرير الأحكام على أصول قررها أمامه و تلقاها منه بتقليد .

فالحق مع من يرضى لمدعى الاجتهاد إلا أن يرسخ فى أصول الفقه و يبحث فى أصوله و مسائله بنظر قائم بنفسه حتى لا يعتمد فى الاستنباط إلا على أصل رأى كيف تشهد به البينة و تقوم عليه الحجة .

الفقه :

يظهر فى بادى الرأى أنه ليس من شروط الاجتهاد المطلق معرفة الأحكام التى استنبطها الفقهاء من دلائل الشريعة ذلك لأنها صادرة عن اجتهاد ، فيجب أن يكون الاجتهاد متقدماً عليها فى الوجود ، فهو مستقل عنها و جائز أن يتحقق بدونها و لو قدرنا ناشئاً درس علوم اللغة حتى أصبح فى ذوقه و فهمه لدقائق العربية كالعربى الخالص ثم أقبل على الفقه فى الكتاب و السنة حتى عرف مقاصد الشريعة لأمكنه استنباط الأحكام من دلائلها كما استنبطها العلماء من قبل أن تدون المذاهب و الآراء ، و التحقيق أن معرفة المذاهب و درس أحكام الفقه مربوطة بأصولها مما يخطو بالعالم فى سبيل الاجتهاد خطوات سريعة لولا دراسة الفقه على هذا الوجه لأنفق فى بلوغها مجهوداً كبيراً و زمناً طويلا ، ثم إنه يأمن العثار و الخطأ فى الفتوى أكثر مما إذا لم يدرس أقوال الأئمة من قبله و هذا ما يراه طائفة من الأصوليين كأبى حامد الغزالى إذ قال (إنما يحصل الاجتهاد فى زماننا بممارسة الفقه فهو طريق تحصيل الدربه فى هذا الزمان) .

و هذا مجمل ما ينقل عن السلف من حث الفقهاء على معرفة اختلاف أهل العلم من قبلهم قال هشام بن عبد الله الرازى : من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه ، و قال عطاء لا ينبغى لأحد أن يفتى الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس فانه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذى فى يديه ، و قال سفيان بن عيينة : أجرأ الناس على الفتوى أقلهم علماً باختلاف العلماء ، و قال سعيد بن أبى عروبة :من لم يسمع الاختلاف فلا تعده عالماً .

و لا يقصدون بهذا حفظ مجرد الخلاف ، بل القصد أن يعرف أقوال السلف و مداركها .

مواقع الاجماع :

و هذا فى الواقع شرط لصحة الاجتهاد بالفعل ، و ليس بشرط فى بلوغ رتبة الاجتهاد ، و إنما أخذوا هذا شرطاً لصحته لئلا يقدر الفقيه حكماً يخرج به عن الاجماع ، إذ كل فتوى يخرق بها صاحبها الاجماع هى فى نظر أئمة الدين باطلة ، و قد خفف الامام الغزالى فى هذا الشرط فقال : ليس من واجبه أن يحفظ المسائل التى وقع عليها الاجماع ، فالواقعة التى علم أنها كانت موضع اختلاف ، و الحادثة التى يعرف من حالها أنها وليدة عصره و لم يقع لها مثيل فى العصور المتقدمة ، له أن يجتهد ويفتى فيهما بما قام الدليل على رجحانه و إن لم يكن ملماً بالمسائل التى انعقد عليها الاجماع .

فان وقعت الواقعة و لم يكن قد بلغه أنه جرى فيها اختلاف ولم يثق بأنها وليدة عصره بحث ما استطاع ، فان لم يقف على أنها مسألة بجمع

عليها ، تناولها بالاجتهاد و فصل لها حكماً مطابقاً ..

القياس :

هل يعد فى شروط المجتهد أن يقول : من يقول بأصل القياس ؟

هذا ما يراه أبو اسحاق الاسفرائينى و عزا إلى الجمهور أنهم قالوا : إن نفاة القياس لا يبلغون درجة الاجتهاد وأخذ به امام الحرمين ، وقال علماء الشافعية لا يقيمون لأهل الظاهر وزناً ، و من أهل العلم من لم يتمسك بهذا الشرط و عد الظاهرى الذى تحققت فيه الشروط الآنفة فى قبيل أهل الاجتهاد و يبنى على هذا أن يكون خلافهم معتداً به فلا اجماع فيما خالفوا فيه من الأحكام و هذا ما ذكر الأستاذ أبو منصور البغدادى أنه الصحيح من مذهب الشافعية ، و قال ابن الصلاح : إنه الذى استقر عليه الأمر .

من جريدة
« المجتمع » الغراء الكويتية

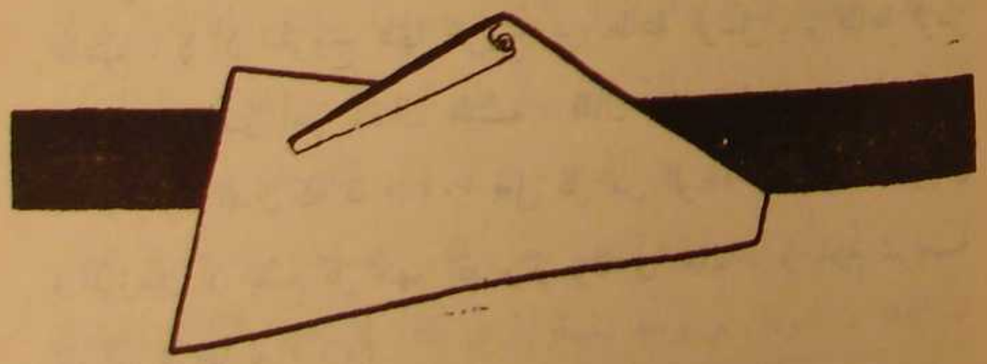

قانون الاحوال الشخصية فى الشريعة

كما يراه ابن تيمية و ولى الله الدهلوى

الأخ شمس تبريز
عضو المجمع الاسلامى العلمى بندوة العلماء لكهنؤ الهند
معرب :

يعارض ابن تيمية نظرية الحكومة التى تعتبر أن حكمها وقانونها هو الشريعة ، على أن شمول النظام الاسلامى يقتضى خضوع كل حكم بجميع ما فيه من شعب و شئون أمام الشريعة ، و لذلك فان السعادة لا تتسنى للانسان إلا باتباع الشريعة و الخضوع لها فى كل شئ من الدين و الدنيا و العبادة و السياسة .

و يرى ابن تيمية جواز القتال مع الطبقة التى تعارض الشريعة و تخرج عن الطاعة فيقول : « حقيقة الشريعة اتباع الرسل والدخول تحت طاعتهم ، كما أن الخروج عنها خروج عن طاعة الرسل ، و طاعة الرسل هى دين الله الذى أمر بالقتال عليه ، فقال « و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » ... فعلى كل من الرعاة و الرعية ، والرؤس و المرؤسين أن يطيع كل منهم الله و رسوله فى حاله ، و يلتزم شريعة الله التى شرعها له » (١) .

(١) فتاوى ابن تيمية ج ١٩ ص ٣١٠

و الذين يغيرون شريعة الله بنقص منها أو زيادة يسمونها الشرع المبدل ، و الشرع المتأول : و ابن تيمية هو أول شخص احتج على هذا التغيير و أسنده إلى الضلال و البدع ، يقول « ثم هى (الشريعة) مستعملة فى كلام الناس على ثلاثة أنحاء ، شرع منزل ، وهو ما شرعه الله ورسوله ، و شرع متأول ، و هو ما ساغ فيه الاجتهاد ، و شرع مبدل ، و هو ما كان من الكذب والفجور الذى يفعله المبطلون بظاهر من الشرع أو البدع أو الضلال الذى يضيفه الضالون إلى الشرع » (١) .

و قد فند ابن تيمية نظرية الفصل بين الدين و الدولة ، إنه يرى وجوب القتل لمن سب الرسول عليه الصلاة والسلام أو مارس عملية اللواط ، أما الذين يعتبرون ذلك سياسة أو تعزيراً حسب الظروف فانه يعترض عليهم و يسائلهم عما إذا كان هناك فرق بين السياسة والشريعة ، أو أن المسلمين لهم سياسة غير شرعية أيضاً يعملون بها كلما اقتضت بذلك الظروف ؟ يقول :

« قالوا : هذا يعمله سياسة ، فيقال لهم : هذه السياسة إن قلتم هى مشروعة لنا فهى حق ، وهى سياسة شرعية ، و إن قلتم : ليست مشروعة لنا فهذه مخالفة للسنة ؛ ثم قول القائل بعد هذا سياسة : إما أن يريد أن الناس يساسون بشريعة الاسلام ، أم هذه السياسة من غير شريعة الاسلام فان قيل بالأول فذلك من الدين ، و إن قيل بالثانى فهو الخطأ » .

و لو أن ابن تيمية عنف بعض الشئ بمناسبة سرد تاريخ الفصل بين الدين و الدولة ، و وجه المسئولية فى ذلك إلى فقهاء الكوفة واعتبرهم

(١) أيضاً ص ٣٠٨

مسئولين عن ذلك ، و لكن منشأ هذا الخطأ فى الحقيقة إنما هو وجود الملوك المستبدين و التحركات العجمية و الشعوبية ، ثم يتحدث عن النتيجة التى توصلت إليها نظرية فصل الدين عن الدولة فيقول : و تعاظم الأمر فى كثير من أمصار المسلمين حتى صار يقال : الشرع و السياسة ، و هذا يدعو خصمه إلى الشرع ، وهذا يدعو إلى السياسة ، سوغ حاكما أن يحكم بالشرع ، و الآخر بالسياسة » (١) .

إنه تشرب فكرة الحكم الشرعى فصارت جزءآ منه ، حتى بدأ يعتبر الحكم الشرعى أصل الدين و يرى أن روح الاسلام الثورية و عدل الشريعة لا يظهران من غير حكم شرعى يجتمع فيه السيف والقلم واللسان و السنان على موازرته ، يقول :

« فقوام الدين بكتاب يهدى ، و سيف ينصر ، (و كفى بربك هاديآ و نصيرآ) و دين الاسلام : أن يكون السيف تابعآ للكتاب ، فاذا ظهر العلم بالكتاب و السنة ، و كان السيف تابعآ لذلك كان أمر الاسلام قائمآ و أهل المدينة أولى الأمصار بمثل ذلك ، أما على عهد الخلفاء الراشدين فكان الأمر كذلك ، و أما بعدهم فهم فى ذلك أرجح من غيرهم ، و أما إذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير ، وكان السيف تارة يوافق الكتاب وتارة يخالفه ، كان دين من هو كذلك بحسب ذلك» (٢) .

قلنا إنه يجيز القتال مع تاركى الشريعة فقد تصدى لذكر وجهة نظره فى هذا الموضوع مرارآ و تكرارآ و ذكر أن مذهب جمهور الأئمة و أهل المدينة يؤيد هذه النظرية ، و هو يستدل بالحرورية و الخوارج

(١) نفس المصدر ص ٣٩٢ (٢) أيضآ ص ٣٩٣

الذين تأمر الأحاديث بالقتال معهم ، والذين حارب معهم على رضى الله عنه فى نهروان و غيرها ، وعلى رغم أنه لا يحب القتال مع أهل الفتنة و البغى و لكنه يحارب تاركى الشريعة ،

و هذا ولى الله ابن عبد الرحيم الدهلوى الذى يعتبر التحريف فى الدين نوعآ من الشرك ، و يقول إن اليهود و النصارى و كفار العرب إنما كانوا قد حرفوا دينهم حسب أهوائهم ، إنه يفسر معنى التحريف فيقول : « إعلم أن التحريف ليس هو اعتياض لفظ مكان لفظ كما وقف عليه فهوم العامة ، بل شأن التحريف أهول من ذلك ، وأكثر أنواعه وجودآ أن يقلب اللفظ من ظاهر مراده إلى هواه و هواجس نفسه » .

و قد أشار ابن عبد الرحيم إلى نكتة و هى أن الحياة تظل تمشى على دربها الصحيح ما دامت تتبع الشريعة فى الأمور ، و بها تجد الأمم غاية تسرع نحوها ، و أما إذا بدأ التحريف و التغيير يتسربان إليها فتضل الأمم كلها الطريق المستقيم و هنالك تتناسى غاية الحياة ، فكل أمة من الأمم سواء كانوا اليهود أو النصارى أو العرب أو العجم إنما ضلت منذ أن ساغ لها التغيير فى الدين و التحريف فى أمور الشريعة .

« حتى انقلب العلم جهلا و صارت الملل كلها عوجآ ، فتلك الجاهلية الثالثة و حقيقتها عدم إقامة الناس على مللهم و خلط بعضها ببعض ، فالمشركون و إن سموا أنفسهم حنفيآ فانهم كانوا يشركون بالله ، و اليهود كانوا حرفوا دينهم كثيرآ و أهملوا فى إقامته ، و لا أعنى بالتحريف تحريف الألفاظ فقط ، بل هناك قسم أهول من هذا ، و هو حمل الكلام على غير محمله ، والنصارى اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابآ من دون الله،

و ترهبوا وعيدوا المسيح ، و أما العجم و اليونان والترك و الهند فخلطوا ملة المجوس و النجامين و الطبعيين ، و أشركوا بالله شركا جليا ، وتظالموا و قامت بينهم الشحناء ، فبعث الله محمداً ﷺ فبرز الدين الحقيقى » (١)

أما تدخل العقل فى أمور الشريعة فليس من طبيعة الدين بل إن ذلك يضاد أصول الدين و حقائق الشريعـــة ، كما يقول ابن عبد الرحيم الدهلوى : « و ترك الخوض فى البراهين العقلية والاكتفاء بالنور المنصوب من الله تعالى المسمى بالشرع و النبوءات فى المعرفة بالله و معرفة الفتن و الاحتراز عنهـا ، و معرفة المجازاة فى المعـــاد فهذه أصول الملة الحنيفية و أركانها » (٢) .

و قد أشار بناء على تجاربه و نظره العميق فى العلوم إلى أن رضا الله إنما ينحصر فى الملة الحنيفية لأنها هى تنطبق على الفطرة البشرية وتجمع بين الدين و الدنيا يقول : « واعلم ان رضـاء الله تعالى و أمره منحصر فى هذا الزمان فى الملة الحنيفية لا يتجاوزها لأنها بنيت على موافقة الصورة الانسانية ، و استخرج المعارف و العلوم منها »

و من الغايات الأساسية للشريعة عنده أنه لا يستساغ أى معارضة للدين الحنيف ، و على كل مسلم أن يقوم فى وجـــه كل العزائم الخبيثة و النوايا الشريرة التى تريد هـدم الدين ، أو تشويه وجهه ، كما لا يجوز لأى أحد فى أى حال أن يقوم بأى نوع من التحريف أو التغيير أو قلب المعانى و التدخل فى الدين ، و لا يسمح له بترقيع الشريعة الغراء من القوانين الوضعية ، يقول الشيخ ولى الله الدهلوى :

(١) البدور البازغة ص ١٨٩ (٢) أيضاً ص ١٩١

« و منها أن يقطع مخالفة الدين الحنيفى رأساً ، فلا يمكن أحد من سوء الأدب بالنسبة إلى الله تعالى و رسوله و كتبه و دينه لا جاداً و لا هازلا و لا يمكن أحد من قلب موضوع و عكس مشروع بوجه من الوجوه ، و لا من تسمية الله سبحانه باسم فيه مخالفة تنزيهه ، و لا من إيجاد وجوه الشرك والانقياد المقدس ، ولا من إهمال شعائر الله تعالى ، ولا من اختلاط ملة أخرى بهذه الملة ، فهذه الأمور أوجبها بروز الدين الحنيفى على وطيرة الارتفاق الرابع ، وكون ذلك قصد الله تعالى وإرادته و رضاه و استحسانه فى هذه الأزمان » (١) .

ويرى الشيخ ولى الله الدهلوى فى موضع آخر أن الركون إلى أى فن أو دين أو فلسفة فى أمور الشريعة لا يجوز البتة ، كما أنه لا يسمح بمراعاة الظروف المتطورة أو تدخل العقلية المتحضرة و التقدمية فى أمور الشريعة ، يقول : « و من أصول دينه أن أوجب ترك تصديق الكاهن و المنجم والطبيعى ، و الميل إليهم و إلى علومهم ، و أوجب ترك الخوض بالعقل فيما ثبت من قبل الشرع ، و ترك الاختلاف ، و ذلك تبقية للملة الحنيفية على وجهها ، و قمعاً لمادة الاختلاط و التحريف » . (٢)

يتحدث الشيخ ولى الله الدهلوى عن حقيقة الشريعة فيقول مامعناه .

« لقد دلنا الشارع عليه السلام على نوعين من العلوم ، علم المصالح، وعلم الشرائع ، و المراد من علم المصالح أن تبنى الحياة على الخصال الأربعة من الطهارة ؛ والخشوع و الانابة ، و السماحة ، و العدالة ، التى هى تجلب رضا الله ، وهذه الخصال يمكن نقدها على محك العقل أيضاً فتطور

(١) أيضاً ص ٢٠٠ (٢) نفس المصدر ص ٢٠٣

بالنقص و الزيادة مع تطور الزمن .

أما علم الشرائع فيراد به تلك الحدود والقيود المعينة التى لا تكون إلا تعبدية و تشريعية ، فيتفطن العقل ما فيها من مواضع الحسن و الجمال ولكنه لا يستطيع أن يفهم العلة فى الثواب والعقاب وحكمتها الأساسية ، مثلا كلنا يعلم أن الذكر سبب للنجاة ، و لكن الصورة المعينة لذكر الله التى يقوم بها الانسان تتمثل بشكل معين فى الملأ الأعلى غير أن العقل عاجز عن إدراكها ، وبما أن تعيين الأصول والمبادئ و تشكيل الأحكام الاسلامية من عمل الشريعة ، أعتقد أنا أن الأحكام الشرعية لا تثبت من غير أمر الشارع و لا تنال أى اعتبار فى نظر الشريعة .

و يحسن أن نوضح الفرق بين المصالح و الشرائع بمثال آخر أيضاً ؛ وهو أن تحريم الشارع عليه السلام الذهب والفضة و الحرير على الرجال تحريم يسمى بالشريعة ، و المصلحة فى ذلك أن الشارع عليه السلام لا يؤثر حياة التنعم و الترف على الحياة الساذجة البسيطة ، وهب أن رجلا يستعمل هذه الأشياء بنية الرفاهية ولكنه لا يتجنب معارضة حكم الشريعة بل يتعدى حدودها ، تعتبره الشريعة من المجرمين ، لأنها لا تتحمل أى تدخل فى نطاق أحكامها و حدودها ، و بالعكس من ذلك فى الأمور غير المنصوصة التى تتغير فيها الأحكام بالنظر إلى المصالح ، مثلا لا يحرم لبس الحرير غير الخالص و استعمال الياقوت و الزمرد ، و لكنه إذا كان الغرض منه التفاخر و إبداء الصلف يمنع عن ذلك نظراً للمصالح » (١)

أوضح الشيخ ولى الله الدهلوى فى أكثر مؤلفاته وجهة نظر أن

(١) أنفاس العارفين ص ٨١

دور الشريعة لا يتحدد فى العقل البشرى و المصالح الانسانية فحسب بل إنه واسع الأرجاء وبعيد الأنحاء بحيث يعجز العقل البشرى عن الاحاطة به ، و ذلك لأن هذا القانون ليس إلا من صنع الخلاق الحاكم الحكيم ، فان شريعته الدائمة الخالدة الغير المتطورة المتبدلة تحيط بجميع ماجد و يتجدد فى كل زمان من أحوال و شئون ، يقول الشيخ فى كتابه القيم « حجة الله البالغة » .

إن نزول القضاء بالايجاب والتحريم سبب عظيم فى نفسه مع قطع النظر عن تلك المصالح . . . وأنه ليس الأمر على ما ظن من أن حسن الأعمال و قبحها بمعنى استحقاق العامل الثواب و العذاب عقليان من كل وجه ، و أن الشرع وظيفته الاخبار عن خواص الأعمال على ماهى عليه دون إنشاء الايجاب و التحريم ، بمنزلة طبيب يصف خواص الأدوية وأنواع المرض ، فانه ظن فاسد تمجه السنة بادى الرأى . . وأوجبت (الشريعة) أيضاً أنه لا يحل أن يتوقف فى امتثال أحكام الشرع إذا صحت بها الرواية على معرفة تلك المصالح لعدم استقلال عقول كثير من الناس فى معرفة كثير من المصالح ، ولكون النبى ﷺ أوثق عندنا من عقولنا »

و يتوسع فى الحديث عن الموضوع و يشير إلى أن اتباع الشريعة من واجبات الأمة الاسلامية الأولى ، و أن معارضتها تثير سخط الملأ الأعلى وغضبه ، و تسد كل طريق يقرب إلى الله ، يقول فى بيان « حقيقة النبوة » : و إذا بعث النبى وجب على المبعوث إليهم أن يتبعوه ، و إن كانوا على سنة راشدة لأن مناواة هذا المنوه شأنه يورث لعناً من الملأ الأعلى ، و إجماعاً على خذلانه فينسد سبيل تقربهم إلى الله ولا يفيد كيدهم شيئاً ، وإذا ماتوا أحاطت اللعنة بنفوسهم . . . ولك عبرة باليهود » .

في رياض الشعر والأدب

يقدمها : الأستاذ أبو بكر الحسنى

صور ضاحكة . . . !

تشاجرت الزوجة فى نهاية الأسبوع الأول من شهر العسل مع زوجها ، وكان ذا أنف ضخم مشوه ، فقالت تعيره به :

ألا يكفينى أننى احتملت أنفك أسبوعاً كاملا .

فأجابها بكل هدوء : أما أنا فقد احتملته ثلاثين عاماً .

★ حكم القاضى على المتهم بخمس سنوات سجن ، و بعد النطق بالحكم انفرد القاضى بالمتهم و قال له : هل يمكنك تاجيرى منزلك أثناء فترة غيابك .

★ تحدث الزوج من مكتبه إلى زوجته بالتلفون ، ليخبرها أنه دعا زميلا له ليتناول معه الغداء ، فصرخت الزوجة تقول : و لكن أنت تعلم أن الخادمة قد تركتنا من أمس ، و أن الأطفال مرضى ، و أن البيت فى حالة يرثى لها ، و أنا نفسى بدأت أشعر بالحمى فلم أستطع دخول المطبخ أو إعداد أى شئ للغداء ، أنت تعرف كل ذلك ، فأجابها الزوج ضاحكا : بالعكس . . . فهذا هو عين العقل ، فان الغبى يفكر فى الزواج ، وستكون هذه فرصة مناسبة ليرى بعينيه بعض ما ينتظره من المتاعب .

★ وجد العامل عشرة قروش زائدة فى أجره الأسبوعى ، فاحتفظ بالزيادة ، و لم يراجع أحداً بشأنها ، و اكتشف صاحب العمل الزيادة ،

و عند ما قبض العامل أجر الأسبوع الثانى وجد أن أجره قد خصم منه عشرة قروش ، فاحتج على هذا النقص ، و لما سئل لماذا لم يذكر الحقيقة حينما قبض عشرة قروش زيادة ، أجاب :

إننى سكت فى المرة الأولى ، و لما تكرر الخطأ ؛ لم أعد أطيق السكوت .

★ قابلت سيدة زميلة لها فى الطريق فقالت لها : أوه . . . يا عزيزتى ... ما أجمل هذا المعطف الذى ترتدينه . . هل غير زوجك وظيفته ؟

لا أبداً ... لكنى أنا الذى غيرت زوجى .

★ اشترى رجل قطعة قماش ، وأخذها إلى الترزى ليفصلها له ، ولكن الترزى أفهمه أن القماش لا يكفى لعمل بدلة ، فاستاء الرجل و قفل راجعاً إلى بيته .

وبينما كان سائراً وجد محلا لترزى آخر فى شارع جانبى ، فدخله وسأل الترزى : هل تكفى قطعة القماش لعمل بدلة ؟ فأجابه الترزى بالايجاب ، و طلب منه أن يعود بعد أسبوعين ليأخذ البدلة جاهزة .

و فى الموعد المحدد حضر الرجل و وجد البدلة جاهزة على القياس ، و فيما كان على وشك مغادرة المحل ، دخل ابن الترزى و عمره خمس سنوات ، إلى المحل مرتديا بدلة من نفس قماش بدلته . ولما استفسر الترزى ، اعترف له بأنه عمل من القماش الفائض بدلة لابنه .

فذهب الرجل إلى الترزى الأول و صاح به غاضباً : هل تذكر أنك أخبرتنى بأن القماش لا يكفى لعمل بدلة ؟ إن ترزيا قريباً من هنا استطاع عمل هذه البدلة كما عمل بدلة لابنه البالغ من العمر خمس سنوات

من نفس القطعة فأجاب الترزى فى هدوء : هذا صحيح .. و لكن ابنى عمره ١٨ سنة !!

★ المدير للمريض . أهنئك يا عزيزى . . . فقد عوفيت من مرضك .

المريض : أنا نابليون . . أنا نابليون

المدير : لا يا بنى .. إنك الآن فى كامل قواك العقلية . . . لقد شفيت .

المريض : أنا نابليون . . . أنا بليون .

المدير ثائراً : قلت لك لا . . . لا يمكن أن تكون أنت نابليون لأنى أنا نابليون ! !

★ اراد أحدهم شراء سيارة ، وكان متردداً ، فجعل يسأل البائع عن مقدار ما تستهلكه كل سيارة من البنزين حتى أحس البائع بأن أعصابه تكاد تفلت منه فلما سأله صاحبنا للمرة العشرين عما تستهلكه إحدى السيارات المعروضة ، أجابه ساخراً . مقدار ملعقة واحدة . .

فسأله المشترى بنفس اللهجة : ملعقة شاى أو ملعقة شوربة .

★ جلس ماسح الأحذية العجوز يمسح حذاء مدير الفندق الذى كان يقول له مواسياً : لا تيأس . . فقد كنت أمسح الأحذية مثلك منذ عشر سنوات ، قبل أن أصبح مديراً للفندق .

فأجابه العجوز ببساطة : و أنا أيضاً كنت مثلك منذ عشر سنوات . . فقد كنت مدير فندق و أصبحت اليوم ماسح الأحذية .

ابن الحريرى كما يراه الادباء

الأستاذ سراج الآفاق الصديقى

ليس فى مقدور هذا القلم العاجز أن يصف للطالع ما لهذا الرجل من المكانة فى عالم الأدب العربى و بحسبنا أن نقول : إنه لم ينل أحد من كتاب المقامة ما نال الحريرى من الصيت المذاع وقد مدحه أحد الشعراء فقال و أجاد :

و فقت أهل العصر بل من مضى ... فى كل فن من فنون وباب

إنه نال حظاً من الشهرة لم يكد يظفر به أحد من كتاب المقامة ، تهافت على مقامته الأدباء و تهجم عليها طوائف من العلماء فى مراحل مختلفة، وقلما خلا زمان من المتعرضين لشرحها ، فقد ترجمها أكثر من عشرين مستشرقاً من الفرنسا ويين و الألمانيين و الانجليز ، و نقلت إلى التركية و العبرية و الفارسية .

كل هذا فضلا عن شروحها العربية التى عنى بها أكثر من أربعين أديب ممن يعرفون علما وأدبا وفضلا ، و هذا ما يدل على مكانته الرفيعة و منزلته العلية بين الأدباء ، و قد تلقاها الناس بقبول لم يسبق له نظير ، وكان له فى هذا الباب جمال لم يبذه أحد ، وكان لها مكانة منيعة عند طلاب الأدب ، و لقد ارتاحت لها القلوب الطيبة فى عالم الأدب و قد اشتملت على كثير من ذرابة العرب فى لغاتها و أمثالها و ألغازها ورموز

أسرار كلامها ، و من عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل و كثرة اطلاعه و غزارة مادته .

كان مشهوراً بالفضل مغداقاً على الفضلاء طار صيته كل مطار وقد أجمع نقدة الأدب على الثناء عليه و بالغوا فى اطرائه كما قال العلامة الزمخشرى صاحب الكشاف فى فضل الحريرى و مقاماته البديعة .

وقال ياقوت الرومى فى كتابه المعجم « كان غاية فى الذكاء والفطنة و الفصاحة و البلاغة و له تصانيف تشهد بفضله و تقر بنبله ، و كفاه شاهداً كتاب المقامات التى أربربها على الأوائل و أعجز الأواخر »

وقد عثرت على قول التميم الحلى فى فضل الحريرى وكان من العلم بمكان مكين و اعتلق من حباله بركن ركين ، و كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين و المتأخرين فضيلة و لا يقر لأحد باحسان فى شئ من العلوم ، سأله سائل : أما كان فيمن تقدم على كثرتهم و شغف الناس بهم عندك قط مجيد فقال « لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المتنبى فى مديحه خاصة ، ولو سلكت طريقه لما برز على و لسقت فضيلته نحوى ، و الثانى ابن بنانة فى خطبه و إن كان خطبى أحسن منها و أظهر عند الناس قاطبة و أشهر ، و الثالث ابن الحريرى فى مقاماته » فقال السائل: ما منعك أن تسلك طريقته و تنشئ مقات تخمد بها جمرته ، وتملك بها دولته فقال « يا ابنى الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها فاسترذلها فاعمد إلى البركة فأغسلها » ثم قال : ما أظن الله خلقنى إلا لاظهار فضل الحريرى »

و قال المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى فى كتابه

« شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » « إن الحريرى هو حامل لواء البلاغة و فارس النظم و النثر ، و قال أيضاً « و بالجملة فالشيخ رحمه الله (الحريرى) كان أعجوبة الدهر و نادرة الزمان » و قال هبة الله بن الفضل « كان الشيخ الأجل الامام الأوحد أبو محمد القاسم بن على بن الحريرى الامام المشهور الفضل من أعيان دهره و فريد عصره ، و ممن لحق طبقة الأوائل و غبر عليهم فى الفضائل » و لا ريب فى أن بعض الأدباء وضع المقامات الحريرية على مستوى المعلقات .

وقال المؤرخ الشهير الأستاذ نكلسن فى كتابه المسمى بتاريخ العرب الأدبى فى ص ٣٨٥ فى بعض منظومه عن المقامات : إنه على غاية فى علو الأخلاق و العظات ، و حسن اللغات و الكلمات ، وشدة التدين و جودة التوازن ، حتى لا يفوقه شئ »

و بعد ذلك يقول : إن الأدباء قد أجمعوا منذ ثمانية قرون على أن مقاماته هى أحسن خزائن اللغات العربية بعد القرآن ، و قول المؤرخ الشهير يدل على مكانتها العلية ، و أين أنت من قول المطرزى حيث قال : « فانى لم أر فى كتب العربية و الأدب و لا فى تصانيف العجم والعرب كتاباً أحسن تأليفاً ، وأعجب تصنيفاً ، و أغرب ترصيعاً ، وأشمل للعجائب العربية ، و أجمع للغرائب الأدبية ، و أكثر تضميناً لأمثال العرب و نكت الأدب من المقامات التى أنشأ الامام جمال العصر و كمال الدهر أبو محمد القاسم بن على الحريرى إنشاء فاخراً ، وكتاباً ماهراً و تصنيفاً عجيباً معجزاً و تأليفاً عزيزاً معوزاً ، نعم كتاب بديع له قدر رفيع قد تمت حسناته و دلت على الاعجاز آياته الخ . و ما أحسن من قال فى فضل الحريرى :

أقسم بالله لقد ما أتت عن أدب جم و صدر رحاب
و ليس بالمنكر منه الحجى و البحر لا ينكر منه العباب
يا ابن على أنت فخر الحجى و صفوة العلم الذى لا تشاب
أنت ثمال الأدب المقتنى و مطلع العلم الذى كان غاب

وكل من له إلمام بتاريخ الأدب العربى يعلم أنه خلق من المقامات فناً جديداً فى الأدب العربى ، و الحق أنه كان امام الأدب واللغة والنحو و الانشاء ، و هذا هو سبب عناية الأدباء بالحريرى كما يقول الدكتور زكى مبارك فى كتابه « النثر الفنى » « و عند الرجوع إلى آثار من تأثروا بفن المقامات نراهم فى الأغلب تلامذة الحريرى لا تلامذة البديع فقد أولع أكثرهم بالصنعة و الزخرف و لم يأنس منهم إلى فطرته إلا القليل » .

وبالجملة أنه كان عمدة فرسان القلم ، وفارس ميدان البراعة ، ومالك زمام القرطاس و اليراعة التى لا تعرف الكلال والسآمة ، و تجول فى كل مضمار بكل لباقة و شجاعة .

ربانيون

سعيد الأعظمى الندوى

الامام أبو الحسن على الدارقطنى

يحمل الدارقطنى فى حياته جوانب متعددة من العلم والذكاء ونواحى مختلفة من النبوغ و العبقرية ، له فضل كبير على أهل العلم و أصحاب الحديث و المشتغلين بعلوم الكتاب و السنة ، أفاد خلقاً كثيراً فى حياته ، و خلف مصنفات جليلة الشأن لمن يأتى بعده من طلاب العلم و المعرفة و رواد الكتاب و السنة ، و بذلك أسدى الدارقطنى إلى العلم و العلماء ، و سجل فى التاريخ صفحة مجيدة تعتبر من أغر الصفحات و أجلها ، و له خصائل جمة فى الورع و التقى ، و تقدم على معاصريه فى حفظ الدين و جودة الفهم لأحكام الشريعة و شرائعها ، و قد حظى بأوفر نصيب فى كل نوع من العلم و الفقه .

أكرمه الله برئاسة العلم والدين فى عصره ففاق أقرانه و بذهم فى الشغف بالحديث و الولوع بعلم السنة ، و المعرفة بعللها و كان بارعاً فى أسماء الرجال و يملك ناصية الفن من حيث الجرح و التعديل ، و إتقان صدق الرواة و صحتهم والثقة بهم ، و عرف بالحافظ فى الحديث وشيخه ؛ روى عن جماعة كبيرة من كبار العلماء و الأئمة ثم روى عنه جماعة من كبار العلماء و أئمة الفن أيضاً ، ولد فى سنة ٣٠٦ ببغداد ، و بعد فراغه

عن تلقى العلوم الابتدائية حضر مجالس العلماء الكبار و على رأسهم أبو القاسم البغوى ، و أبو بكر بن أبى داؤد و ابن صاعد و محمد بن هارون الحضرمى ، و سمع منهم الحديث و قرأ عليهم الفقه و أتقن مذاهب الأئمة و درس فقه الشافعى على أبى سعيد الاصطخرى .

يقول شيخ الاسلام تاج الدين السبكى فى طبقاته و هو يتحدث عن الدارقطنى :

« أبو الحسن الدارقطنى البغدادى الحافظ المشهور الاسم صاحب المصنفات ، إمام زمانه و سيد أهل عصره و شيخ أهل الحديث . . . . سمع من من أبى القاسم البغوى و أبى بكر بن داؤد ، و ابن صاعد و محمد بن هارون الحضرمى ، و على بن عبد الله بن بشر الواسطى ، و أبى عمر محمد بن يوسف القاضى . . . و خلق كثير ببغداد و الكوفة ، و البصرة ؛ و واسط ، و رحل من الكوفة إلى الشام ومصر فسمع القاضى أبا الطاهر الذهلى و هذه الطبقة » .

كما روى عنه الشيخ أبو حامد الأسفرايني الفقيه ، و أبو عبد الله الحاكم ، و عبد الغنى بن سعيد المصرى ، و تمام الرازى و أبو بكر البرقانى ، و أبو القاسم التنوخى و أبو نعيم الأصفهانى والقاضى أبو الطيب الطبرى ، و حمزة السهمى و أبو الحسين بن المهتدى بالله ، و أبو محمد الجوهر إلى غير أولئك من العلماء الكبار و الفقها العظام ممن يطول ذكرهم .

وقد وصفه الناس الثقة بالحافظ والامام ، و شهدوا بورعه و فقهه ، و تفرده بالفضائل و المكرمات ، قال الحاكم : « صار الدارقطنى أوحد عصره فى الحفظ و الفهم و الورع ، و إماماً فى القراء و النحويين ، وفى

سنة سبع و ستين و ثلاث مأة أقمت ببغداد أربعة أشهر ، و كثر اجتماعنا بالليل والنهار فصادفته فوق ما وصف لى ، و سألته عن العلل والشيوخ، و أشهد أنه لم يخلف على أديم الأرض مثله » .

و لم يكتف الدارقطنى باتقان الحديث و أسماء الرجال و الفقه و الأصول فحسب ، بل اضطلع من علوم أخرى كذلك كما يتحدث عنه الخطيب : «كان الدارقطنى فريد عصره ، و قريع دهره ، و شيخ وحده ، و إمام وقته ، انتهى إليه علم الأثر و المعرفه بعلل الحديث و أسماء الرجال مع الصدق و الثقة و صحة الاعتقاد ، و الاضطلاع من علوم سوى علم الحديث ، منها القراءات فان له فيها مصنفاً مختصراً جمع الأصول فى أبواب عقدها فى أول الكتاب ، و سمعت من يعتنى بالقراءات يقول : لم يسبق أبو الحسن إلى طريقته التى سلكها فى عقد الأبواب المقدمة فى أول القراءات ، و صار القراء بعده يسلكون ذلك » .

وكان له تذوق بالأدب والشعر أيضاً إذكان يحفظ دواوين جماعة من شعراء العربية ، و ملح الأخبار و نوادرها ، فقد حكى أبو الطيب القاضى أن محمد بن طلحة النعالى حدثه أنه حضر مع الدارقطنى دعوة فجرى ذكر الأكلة . فاندفع يورد أخبار ونوادرهم حتى قطع أكثر ليلته بذلك .

أما حفظه للاحاديث و جمعها و سرعة فهمه و ذكائه فحدث عن البحر ولا حرج ، يحكى الأزهرى قصة حفظه و اتقانه حينما حضر مجلس اسماعيل الصفار ؛ يقول : بلغنى أن الدارقطنى حضر فى حداثته مجلس اسماعيل الصفار فجعل ينسخ جزءاً والصفار يملى فقال رجل لا يصح سماعك وأنت تنسخ فقال الدارقطنى فهمى للاملاء خلاف فهمك ، تحفظ كم أملى الشيخ ؟

قال لا ! قال أملى ثمانية عشر حديثاً ، الحديث الأول عن فلان عن فلان و متنه كذا ، و الحديث الثانى عن فلان عن فلان و متنه كذا ، ثم مرفى ذلك حتى أتى على الأحاديث فتعجب الناس منه » .

و قال رجاء بن محمد المعدل : قلت للدارقطنى : رأيت مثل نفسك ؟ فقال ! قال الله تعالى « فلا تزكوا أنفسكم » فألححت عليه فقال لم أر أحداً جمع ما جمعت ، و قال أبو ذر عبد بن أحمد قلت للحاكم ابن البيع : هل رأيت مثل الدارقطنى فقال هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا ،

و قال أبو الطيب القاضى : الدارقطنى أمير المؤمنين فى الحديث ، و قال الأزهرى : كان الدارقطنى ذكياً ، إذا ذكر شيئاً من العلم أى نوع كان وجد عنده منه نصيب وافر . و قال الأزهرى : رأيت الدارقطنى أجاب ابن أبى الفوارس عن علة حديث أو اسم ثم قال له : يا أبا الفتح ليس بين الشرق و الغرب من يعرف هذا غيرى » .

و شهد بفضله و تعمق نظره الامام الذهبى و الخطيب البغدادى فقد قال البرقانى .

« كان الدارقطنى يملى على العلل من حفظه ، قال : و أنا الذى جمعتها و قرأ الناس من نسختى ، قال شيخنا الذهبى : و هذا شئ مدهش فمن أراد أن يعرف قدر ذلك فليطالع كتاب العلل للدارقطنى ، و قال الخطيب : حدثنى العتيق قال حضرت الدارقطنى و جاءه أبو الحسن البيضاوى بغريب يسمع منه فامتنع و اعتل ببعض العلل فقال : هذا رجل غريب و سأله أن يملى عليه أحاديث ، فأملى عليه أبو الحسن من حفظه مجلساً تزيد أحاديثه على العشرين ، متون أحاديثها جميعها : نعم الشئ

الهدية أمام الحاجة ، فانصرف الرجل ثم جاءه بعد وقد أهدى له شيئاً فقربه و أملى عليه من حفظه سبعة عشر حديثاً ، متون جميعها : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه »

وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد : أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله ﷺ ثلاثة : على بن المدائنى فى وقته ، و موسى بن هارون فى وقته ، و على بن عمر الدارقطنى فى وقته ، و قال رجاء محمد المعدل : كنا عند الدارقطنى يوماً و القارى يقرأ عليه و هو يتنفل فمر حديث فيه نسير بن ذغلوق فقال القارى : بشير ، فسبح الدارقطنى ، فقال بشير ، فسبح فقال يسير ، فتلا الدارقطنى « ن و القلم » .

و يشبه بذلك رواية حمزة بن محمد بن طاهر قال : كنت عند الدارقطنى و هو قائم يتنفل فقرأ عليه أبو عبد الله ابن الكاتب ، عمرو بن شعيب فقال عمرو بن سعيد فسبح الدارقطنى ، فأعاده و قال ابن سعيد و وقف ، فتلا الدارقطنى « يا شعيب أصلاتك تأمرك » فقال : ابن شعيب .

يقول شيخ الاسلام السبكى : و هذا فى الحكايتين مع حسنه فيه من أبى الحسن استعمال للمسألة المشهورة ، فيمن أتى فى الصلاة بشئ من نظم القرآن قاصداً للقراءة و شئ آخر فان صلاته لا تبطل على الأصح ، ولو قصد ذلك الشئ الآخر وحده لبطلت » .

توفى الدارقطنى يوم الخميس ٨ من ذى القعدة ٣٨٥م، قال أبو نصر بن ماكولا : رأيت فى المنام كأنى أسأل عن حال الدارقطنى فى الآخرة فقيل لى : ذلك يدعى فى الجنة الامام .

و دارقطن كانت محلة فى بغداد حيث تقام سوق القطن ، فنسب إليها و دعى بالدارقطنى ، رحمه الله و رضى عنه .

العالم الإسلامي

الأستاذ محمد الرابع الندوى

عفواً، فانى أريد أن أكون صريحاً

توفى فى آخر الشهر الماضى جمال عبدالناصر عن عمر يربو على خمسين عاما قضى منها اكثر من ثلاثين سنة وراء الستار و اكثر من خمس عشرة فى سياسة ملؤها بلبلة و اضطراب و تائيد و انكار و تغيير و ارهاب فكانت حياة أزعجت كثيراً و أراحت قليلا، كانت فترة تشبه العهد الفاطمى أو العهد الفرعونى فى مصر، فترة لم ينعم فيها الشعيب المسكين فى اكثر ما نعم به إلا بالتصفيق للقادة السادة و تضخيم أبهة البلد و الشعب بالتائيد للحاكم، و السير فى مواكبه و الجرى وراء كل ما يهتف به من ميول متطرفة و اتجاهات مبتدعة

ونحن إذا تجردنا قليلا عما تضخمه لنا الوسائل الدعايية التى أصبحت اليوم بفضل المدنية الحاضرة راقية و متشعبة و متوفرة و دققنا النظر إلى حقائق الأمور وبواطن الأحداث لوجدنا مكاسب الثورة فى مصر تتضاءل و تضمحل إلى حد الذوبان أمام الخسائر التى نال على يدها الشعب المصرى فى مختلف أنحاء حياته فقد كانت كرامته القومية قبل الثورة و بعدها بقليل أكثر تصونا ومناعة منها اليوم بعد هزيمة حرب حزيران ١٩٥٧ م وكانت حريته الأدبية و السياسية أكثر حيوية و انطلاقا فيما قبل منها فيما بعد، وكانت حريتها فى الماضى و إن كانت تسوق الأمور إلى قليل من الفوضى و لكنها على كل حال كانت خيراً من الكبت و الضغط و الاجبار المستبد

الذى ساد اليوم فى البلاد و الذى يمكن أن يلمس فى كثير من أنحاء الحياة الأدبية و السياسية و من أمثلته فى الصحافة ما شاهدناه من أن الصاغ صلاح سالم أحد أعضاء مجلس الثورة و إحدى دعائمها الهامة لما سقط من اعتبار زميله الرئيس جمال عبد الناصر ثم مات لم تستطع خدماته الجليلة التى كان أداها لترسيخ قواعد العهد الثورى نفسه أن تكسب له مكاناً واسعاً لخبر وفاته فى الجريدة اليومية مع أن الجريدة نفسها اتسعت فى نفس الزمان لتفاصيل موت الممثلة الأمريكية الشهيرة «مارلين مونرو» مع أن صلاح سالم كان قد قضى جانباً من أيامه الأخيرة رئيساً لتحرير جريدة الشعب اليومية كذلك، ثم إن هذه الصحافة فى الوقت الذى كانت تملأ كل رحابتها فى تمجيد الأعمال الثورية وفى الاطراء على رئيس الثورة المفخم و تمتنع كل الامتناع عن أى نقد أو اختلاف على آرائه و اتجاهاته طيلة كل هذه الفترة لم تكن تكترث لما كان ينشر فى صحافتها من انتقادات على أحكام الاسلام و رجاله من صور كاريكتورية تلغ فى كرامة هذا الدين العظيم و كرامة رسوله ﷺ من كاريكتور «المزواجون» و كاريكتور «حمار» و كاريكتور «الشيخ متلوف» و كاريكتورات أخرى كثيرة.

فتباً لهذه الصحافة و تباً لحكومة بلادها بعد أن أهدرتا كرامة الدين الاسلامى و كرامة رجاله و كرامة رسوله و تباً لمسئوليها الأصاغر و الأكابر و تباً لهذه الحرية الفاسقة الفاجرة للصحافة التى يسمونها بصاحبة الجلالة.

أما أمثلة ذلك فى الحياة السياسية فهو ما عرفناه من عدم ظهور أى

معارضة فى هذا البلد الديمقراطى العظيم لأحد آراء زعيمه الثورى الأكبر طيلة كل هذه الفترة الطويلة مهما كان بعيداً عن الصواب ولم يكن يعرف العالم أبداً أن هناك أى معارضة إلا عن طريق النتائج التى كانت تظهر فى شكل إقصاء زملاء سياسيين بارزين و القضاء عليهم بدون مبرر يعرفه الناس و بدون أسباب ملموسة و من هذا الكابوس الارهابى الثقيل الذى كان يلبس شدة وطأته حيناً إلى حين عدد كبير من أفراد الشعب ، حيناً لعدم رضاهم باتجاهات الحكم فى البلاد و حيناً لولائهم للاتجاهات الفاضلة الموروثة على أنهـــا ليست مرضية أو مقبولة لدى الحاكم الثورى الأكبر فالآلاف بل عشرات الآلاف من المواطنين المصريين الذين تلقوا ألوانـاً من التعذيب و الضغط فى معاقل الحكم الثورى بسبب حبهم و وفاءهم لافكارهم الدينية و ولائهم لحزب الاخوان الذى كانت الثورة نفسها تؤيده و تحبه طيلة موافقته للسياسة الثورية و كذلك آلاف الأفراد من الجيش لقوا حتفهم فى حرب اليمن التى لم يكن لمصر فيهـا ناقة و لا جمل سوى ماكان قائد ثورتها يريد من تسليط النفوذ الاشتراكى السوفيتى فى هذا البلد الاسلامى المسكين .

أقول فهذه الألوف المؤلفة من المصريين المسلمين سواء كانوا من عامة المواطنين أوكانوا أفراد الجيش الذين قاسوا عذابا و دماراً و هلاكا تحت ظل هذه الثورة و بأمر بطلها العظيم ماذا كان خطئهم حتى يواجهوا كل هذا العذاب ، أيجوز لرأى رجل واحد أو رجلين أن يتحكم فى رقاب آلاف و آلاف من أفراد الشعب دون النظر إلى آراء الآخرين من ذوى الاخلاص و الحزم . وجاهدت الثورة تحت قيادة بطلهـا الناصر لاجبار

عناصر الشعب على الانصهار فى البوتقة التى ارتضتها الثورة أو ارتضاهـا رئيسها و قائدها الموهوب العبقرى و استخدمت فى ذلك كل وسائل التذويب و التحطيم حتى لا يبقى فى البلاد كلهـا إلا حزب واحد وهو حزب الثورة و إلا فلسفة واحدة وهى فلسفة الثورة وإلا قومية واحدة وهى قومية الثورة و ظهرت هذه االقومية فى عناوين مختلفة فحيناً فى عنوان الفخر بالآباء الأقدمين « الموهومين » وهم الفراعنة ، و حيناً فى عنوان القومية العربية و وحدتها الجاهلية وحينا فى عنوان الاتحاد الاشتراكى و تضامنه و هى فى كل لباس كانت هى القومية الثورية التى أنتجها بجهده الزعيم الثورى العربى المصرى الاشتراكى العملاق

و اقتضت عملاقية الزعيم هذه الفذة بأن لا يبقى لا فى مصر وحدها بل فى المنطقة المحيطة بمصر كلها بطل غيره أوزعيم يستطيع أن يعارضه أو قائد يستطيع أن يخالفه أو دبلوماسية تستطيع أن تصادم دبلو ماسيته حتى و لا زميل من زملائه يحدث نفسه إليه أن يضاهيه ، لقد قضى على كل الأحزاب السياسية فى مصر و كان كف عن حزب الاخوان أولا و أظهر ولاءه لهم لأن تأييدهم لحركته كان كسباً كبيراً و مدداً و قوة له و لزملائه الثوريين المغمورين لدى الشعب و لكنـــه لما أحرز شيئاً من القوة فى الحكم و الشعب مال إلى تحطيم قوة الاخوان و القضاء عليهم و استمر فى كل هـــذه الفترة حتى لا يبقى له ندولا معارض ولا فى البلاد إلا حزب واحد وهو الحزب الاشتراكى الحاكم و صوت واحد و هو صوت بطله و زعيمه الثورى الاشتراكى العظيم .

قضى على جميع السياسيين و الدبلوماسيين القادرين على معارضته

أو معارضة سياسته الثورية الاشتراكية ولم يترك فى مراكز قوة البلاد منهم إلا من كان فى جماعته الثورية وحدها ولم يقتصر بذلك أيضاً بل مال إلى القضاء من زملائه على كل من أبدى صفحة وجهه يوماً ما فى خلاف ما ارتضاه الرئيس من الآراء و الأعمال فغاب عن المسرح أولا اللواء محمد نجيب زميله الثورى و الرئيس السابق ثم تلاه الآخرون إما باقصائهم العلنى و إما عن طريق صور أخرى مثل إصابة بالجنون و قيام بعضهم بما سموه بالانتحار أو لسقوطهم عن الاعتبار ، فقد توفى الصاغ صلاح سالم و لم يطلع الناس أولا إلا على خبر جنونه ثم على خبر وفاته أخيراً و زميله جمال سالم بنحو هذا الشكل تقريباً ، و نحى عن المجلس الثورى الحاكم أو تنحى بنفسه زميله عبد اللطيف بغدادى وزميله كمال الدين حسين و توفى بعنوان الانتحار ساعده اليمن وزميله الأقرب اللواء أو المشير عبد الحكيم عامر ولم يبق أخيراً فى المنصة أو على درج المنصة إلا زكريا محى الدين و حسين الشافعى و أنور السادات بعد أن فازوا بالمحافظة على زمالتهم بشتى الجهود و التضحيات

لقد كانت حياة جمال عبد الناصر وهو رئيس الثورة المصرية وقائدها الأكبر أو الأول مليئة بشتى المغامرات والمخاطرات وبعدد من الانتصارات و الخسائر و هى التى ساعدته فى إحراز ما أحرزه من الشهرة و الصيت فى خارج مصر و إلى حد ما فى داخلها و لكن هذه المغامرات أو الانتصارات لم تزد الأمور صلاحاً و لا الكرامة تصوناً ولا بقاء ولم تزد نفوس المخلصين الغيورين من أهل البلاد وأصدقائهم سروراً ولا ابتهاجاً ، و ماذا كانت هذه الانتصارات التى أحرزها الرئيس ؟

إنها ستتلخص فى كثير من أحوالها فى الدعايات و العنتريات وعدد من الأعمال ساقت إلى أوخم النتائج و إلى صور الضغط و سفك الدماء حتى دماء عدد من أهم أهالى البلد و أكرمهم فيه مهما كان توسل الناس للابقاء عليهم رحمة و كرماً مثل الأستاذ سيد قطب الذى توسل للابقاء عليه أهم رجالات العالم الاسلامى من كل مكان و لكن لم يؤثر كل ذلك على عزم الرئيس فى تنفيذ ارادته .

و اعتنى الزعيم لتذويب القوى العربية الأخرى أيضاً فى بوتقته ، فاعتنى باحداث ثورات و قلب حكومات ، و انتصر فى جهوده هذه انتصاراً لا بأس به ، و حصل له بذلك أتباع مخلصون مما حوله من الحكومات ينظرون إلى الحقائق والأشياء بعينه هو ويعملون وفق إشاراته و إيماءاته و يفكرون بعقله و يتضاءلون أمامه تقديراً لعظمته ، و لا شك أنها انتصارات لا تقل عن أن تملاء قلب البطل فخراً و تعاظماً .

أما الخسائر فهى من نصيب الأمة و البلاد تتجرع مرارتها و لا بأس بها مادام يملك مثل هذا البطل العظيم الذى لا يأتى الزمان بمثله إلا نادراً (إقرءوا على سبيل المثال افتتاحية الجريدة القاهرية « الشباب العربى » إثر هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ م) ولا بأس فيها و إن كانت ضياعاً للنفوس و هدراً للكرامة و اندحاراً أمام عدو صغير و حقير ثم ارتضاءاً بقيام الهدنة معه وبالمفاوضات لايجاد حل تعايش سلمى معه لقد عاش بطل مصر العظيم جمال عبد الناصر ست عشرة سنة من آخر حياته فى مثل هذه الأحوال و توفى فى آخر الشهر الماضى و لكنه ترك فيما ترك وراءه مسئوليات أدبية وسياسية و معنوية كثيرة على زملائه و رفاقه وعلى غيرهم

★ البقية على الصفحة التالية

الأستاذ محمد مصطفى رمضان

الحركة الاسلامية فى الصحافة اليهودية

★ الاخوان المسلمون أوضحوا أخطار الاتجاه إلى إسلام القرآن و السنة . . ؟ !

★ و منهجهم يرتكز على الاستبداد الدكتاتورى المتمثل فى العودة إلى القرآن تحت حكم رجل فاشستى ! !

الحركة الاسلامية فى مصر لها صورة ثابتة فى أذهان العامة من مسلمى الشرق الأوسط ، و مرد ثبوتها أن العساكر الذين رزئت بهم أقطار عدة فى هذه المنطقة من العالم الاسلامى إنما حشدوا - منذ أوائل

تابع ص ٩٣

أيضاً ومنها مسئولية التأبين أيضاً لكن الذين أغمضوا عيونهم ولم يفتحوها يستطيعون أن يفعلوا كل ما توحى إليهم خلفاء الرئيس المصرى الراحل الأوفياء ، و لكن الذين لم يغمضوا عيونهم عن الأحوال و الأحداث فانهم الآن فى حيرة و قلق كيف يوبنوا هذه الشخصية المصرية العظيمة التى توفيت عن حياة ملوها صور من الانطباعات دامية و عدد من الارتسامات عن حياته التى قضاها بشكل متنوع غريب فى مجالات الحياة العربية السياسية و القومية و الفكرية المختلفة ، نفكر فى ذلك بحيرة وأسى و نقول : إنا لله و إنا إليه راجعون .

الخمسينات - كل طاقاتهم الاعلامية ، التى يسرتها لهم اليهودية العالمية ، ليقولوا عنها تارة إنها حركة رجعية تأتمر بأمر الاستعمار ، و تارة أخرى إنها تنظيم إرهابى لا عمل له إلا التخريب و التدمير .

صوت مألوف ! !

وحين يقدر لبعض هؤلاء المسلمين أن يقرأوا ما تكتبه صحف الغرب الاستعمارى عن الحركة الاسلامية فى مصر ، أو يستمعوا إلى ما يقال عنها فى الندوات والاجتماعات ، فيخيل إليهم - حتما - أنهم إنما يسمعون صوتاً تقدمياً مألوفاً ، و كلاما ثورياً ليس بالغريب أبداً عن الأعين و الآذان ! فلن يتجاوز المضمون فى هذا الكلام أوذاك أن الاتجاه الحركى فى الاسلام هو خطر ماحق على التقدم و التقدميين . . و أن « الاخوان » بالذات هم أناس متطرفون متعصبون أبعد ما يكون التطرف والتعصب . . و هم بذلك عقبة فى طريق التطور و التمدن !

بل إنهم - فى عرف هؤلاء و هؤلاء - رجعيون إرهابيون ينحون منحى دكتاتوريا فاشستيا معادياً للديموقراطية ! وإن الضربات التى وجهت إليهم - من دمى اليهودية العالمية - هى هزائم ألحقها بهم صانعو « الأمجاد العربية و المنجزات الثورية » !

و أيضاً هم عملاء يضربون بسيوف أصحاب النفط وذهبهم ! وحديث اليوم فى هذه الجولة - و فى الجولة القادمة أيضاً إنشاء الله - يعرض لشئ مما يكتب فى صحف اليهودية العالمية عن الحركة الاسلامية فى مصر . . التى ما فتئ ذكرها يلقى الرعب و الهلع فى قلوب أعداء هذا الدين جميعاً .

فى عدد يونية « حزيران » الماضى من مجلة « الشرق الأوسط الجديد »

The New Middle East » و هى مجلة يهودية بريطانية شهرية ، نشر مقال طويل اختار له كاتبه هارى هو بكنز Harry Hopkins عنوان « العرب و اليهود فى البحث عن التغيير Arde and Jews in Search of Change و لست أبالغ إذا قلت إن ذلك المقال إنما هو من أخطر ما كتب عن التخريب الفكرى الذى آل العساكر الثوريون على أنفسهم أن يحدثوه فى الشرق الأوسط ، و لعل الفرصة تسنح قريباً لترجمته كاملا عسى أن يفيق الغافلون من مسلمى هذه الأمة ، و لكنى أكتفى اليوم بترجمة الفقرات التى عرض فيها الكاتب للحركة الاسلامية فى مصر . و التى تؤكد تبعية هؤلاء العساكر لليهودية العالمية .

الموجة الرجعية التى أطلقها الاخوان ؟ !

« يدين الضباط الأحرار بالشئ الكثير لكلا هذين العنصرين (اليمين الاسلامى و اليسار اللادينى) فالى درجة كبيرة طفا هؤلاء الضباط إلى السلطة على موجة المد العاطفى الرجعى التى أطلقها الاخوان المسلمون .

وقد استمتع الاخوان المسلمون حقاً لفترة ما بعد الانقلاب لوضع خاص ، فعندما منعت الأحزاب السياسية استثنوا هم كحركة دينية .

و من هذا الاتجاه أتى — فيما بعد — أكبر تهديد دائم لنظام عبد الناصر .

أخطار و استبداد و حكم فاشستى ! !

و مع أن الاخوان - خاصة تحت قيادة حسن البنا مؤسس الجماعة الساحر - كانوا قادرين على فتح الينابيع السرية للشعور الشعبى كما لم يفعل أى حزب سياسى منذ الأيام الأولى لحزب الوفد ، مع هذا كله فقد

أوضحوا بصورة حية أخطار الاتجاه إلى الاسلام الأساسى ، و على الرغم من التطعيمات الحديثة ، كالتصنيع ، كان منهجهم فى الناحية الأساسية معاديا للأجانب ، و يرتكز على الاستبداد الدكتاتورى المتمثل فى العودة إلى القرآن تحت حكم فاشستى للمرشد الأعلى ؛ و هو رجل يشبه الخليفة ، و هذا النوع من التطرف الذى يماثل تطرف المهديين من المحتمل أن يعمل جيداً بشكل كاف بين بدو السعودية الرحل ، و لكن انعدام الصلة بينه و بين مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين شئ واضح و جلى .

اغتيالات . . .

و كلما كان الهدف صعب التحقيق كان السخط الناتج عن خيبة الأمل كبيراً ، فقد كان للاخوان جهاز عسكرى سرى رتب العديد من الاغتيالات و تفجير القنابل ، و فى أواخر عام ١٩٥٤ حاول هذا الجهاز اغتيال عبد الناصر عند ما كان الرئيس يلقى خطابا فى الاسكندرية ، و مع أن هذا العمل جعل فى السهل قمع الاخوان المسلمين فقد أثبتت الحركة أن لها رؤوسا متعددة .

و إذا لم يكن تعصب الاخوان - يقينا - أبعد من أن يمثل مسلمى مصر العاديين فقد أعطت الصهيونية ذات النشاط الدائم فى اسرائيل بن جوريون لهذه الحركة مزيداً من القوة ، فالجهاد هنا ستدعى جهاداً هناك ، و بالاضافة إلى ذلك فقد كانت هناك القاعدة الصادرة للجموع الاسلامية الكبيرة الجامدة ، و التى تتسم بالنزعة المحافظة ، التى نشأت فى أروقة الأزهر ، الذى ظل على مدى ألف عام ينبوع السلطة و الحقيقة للملايين فى العالم الاسلامى .

و قد قالت لى إحدى طلائع الحركة النسائية المصرية إنهـا مقتنعة بأن عبد الناصر نفسه كان القوة الدافعة وراء هذا التغير فى مركز المرأة (خروجها إلى العمل ، و السماح لها بالترشيح و الانتخاب ، و إدخالها الوزارة) و يقينا أن عبد الناصر - فى مهمة بناء الأمة التى فرضها على نفسه - لديه كل الأسباب كى يكون مدركا للتهديد الذى تمثله الرجعية الاسلامية ، فقد سحقت آخر مؤامرة كبرى للاخوان المسلمين فى عام ١٩٦٥ م فقط ، و فى المؤتمر القومى لعام ١٩٦٢ ، و مؤتمر الاتحـاد الاشتراكى العربى لعام ١٩٦٨ وقف عبد الناصر بنفسه خطيبا ضد الشيوخ الذين قاموا بتقديم اقتراح لوضع رقابة مستمدة فى القرآن على السلوك الشخصى للأفراد . .

الاخوان لم يستثنوا « كحركة دينية » عند ما حلت الأحزاب المصرية بعد الانقلاب العسكرى ، أو بالأحرى لم يستمتعوا بوضع خاص كما ادعى هارى هوبكنز ، و لكن موضوع الحل لم يكن يشملهم لأنهم ليسوا حزبا سياسيا ، بل جماعة اسلامية تؤمن بالاسلام عقيدة و نظـام حياة ؛ إذن فلا مجال هناك للايحاء بأن العساكر قد أسدوا معروفا للاخوان ، أو أن فى الأمر محـاباة من نوع ، و لو كان فى مقدور قيـادة تنظيم الضباط الأحرار - من جهـة أخرى - حل الجماعة كما فعل محمود فهمى النقراشى من قبل لما ترددت فى التنفيذ ، لأن الانقلاب لم يحدث - كما وضح فيما بعد - إلا لتصفية الحركة الاسلاميـة ، و لكن الاخوان وقتها لم يكونوا حزبا يضم بضعة آلاف من الأعضاء ، أو حتى عشرات آلاف ، و إنما كانوا تجمعا شعبيا تجـاوز أفراده المليون . . و بلغ أنصاره و مؤيدوه أربعـة ملايين . .

ثم ألم يصل العساكر إلى السلطة على موجة المد العاطفى التى أطلقها الاخوان ، و التى وصفها الكاتب الانجليزى بالموجة الرجعية . . ؟ !

و نمضى مع هوبكنز فاذا هو يؤكد أن الاخوان قـد « أوضحوا بصورة حيـة أخطار الاتجاه إلى الاسلام الأساسى » و هو يعنى إسلام القرآن والسنة ، و أن « منهجهم من الناحية الأساسية معـاد للاجانب ، و يرتكز على الاستبداد الديكتـاتورى المتمثل فى العودة إلى القرآن تحت حكم فاشستى للمرشد الأعلى ، وهو رجل يشبه الخليفة » .

مسابقة فى وضع الالقاب واختراع الاوصاف

بقية المنشور على ص ٨

فى هذه المهمة البسيطة التى كرس عليها كل حياته ، وكان فشله فى الأردن (والذى دعاه إلى صلح عاجل) هو الصدمة الأخيرة التى لم يحتملها مع قوة أعصابه .

فما بال هذه البلاد « الرجعية » و ما بال الملوك و الحكام فى هذه البلاد « الرجعية » لا تضع حداً على هذه الثورية التى تسللت إلى معاقلها و جاست خلال ديارها ، و لمـاذا تفتح الأبواب فى طريق هؤلاء الذين لا خلاق لهم فى الدنيا و الآخرة ، و لا غاية لهم إلا الهدم و التخريب ، و الفساد و الدمار .

لقد وقفت بعض الدول العربية فى هذا الوقت موقفاً مشرفاً يستحق الاعجاب و تماسكت أعصابها ، و لا شك أنها خطوة موفقة ، و لكن هذه المؤامرة الخبيثة والمحاولة الكريهة ، محاولة تحويل قبلة الأمة ، و تغيير

نبيها و كتابها ، و دينها و عقيدتها ، تحتاج إلى خطوات واسعة بل إلى قفزات عظيمة مستمرة ، فضلا عن الحرص على سلامة البلاد ، و أمن العباد ، و مستقبل الأجيال .

إن هذا المد أو هذا الطوفان من البكاء و النحيب ، و الحداد لا يدل إلا على اعتلال الصحة ، و اختلال الايمان ، و استغلال هذه الأوضاع لفرض نبوة جديدة ، والاستمرار فى المخططات الأثيمة يشكل خطراً أكبر على البقية الباقية من عاطفة الايمان ، و قوة العقيدة ، اللتين تمنعان إسرائيل من تحقيق مطامعها و أحلامها من الفرات إلى النيل .

إن قوات الصهيونية تقف بالمرصاد على الضفة الغربية و السويس و حدود لبنان تترقب ذلك اليوم « السعيد » الذى ينهار فيه هذا الحصن المنيع من العقيدة و الايمان فيتحقق ما تحلم به منذ آلاف السنين .

فهل ندرك ماذا يريد بنا هؤلاء الثوريون ؟ و هل نشعر كيف يعبثون بالاسلام و القرآن ، باسم الاسلام و القرآن ، و باسم القيم الروحية و الايمان ؟

محمد الحسنى

العدد الخامس

يصدر العدد القادم الخامس للمجلد ١٥ فى غرة ذى القعدة ١٣٩٠هـ باذن الله ، ولا تصدر المجلة فى شوال بمناسبة حلول الشهر المبارك .

البعث الاسلامى

شهرية اسلامية جامعة

الاشتراكات

فى الهند و باكستان : عشر روبيات - ثمن النسخة روبية واحدة
فى العالم العربى : جنيه و ربع (استرلينى) (بالبريد العادى)
« « ثلاثة جنيهات إلا ربع (استرلينى) (بالبريد الجوى)
فى افريقيا الجنوبية والشمالية : جنيه وربع (استرلينى) (بالبريد العادى)
« « ثلاثة جنيهات ونصف « (بالبريد الجوى)

المراسلات

العنوان البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)
الهاتف : ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨
برقية NADWA, Lucknow

الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم كراچى رقم ١٤ باكستان

الوكالات

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتب الاسلامى ص ب ٣٧٧١ بيروت
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- إقبال الندوى الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الدار السعودية للنشر ص ب ٢٠٤٣ جده (السعودية)
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)
- مكتبة الأندلس ص ب ٤٦٤٥ كريتر - عدن
- محل قاسم سفيان ص ب ٢٤٢ تعز - جمهورية اليمن
- مكتبة المنار ميدان التحرير - صنعاء - اليمن
- المكتبة الحديثة - دبى (الخليج العربى)